سيكولوجية شخصية الطفل

مفهوم الشخصية personality:

يوجد عدة تعريفات للشخصية فيمكن تعريفها بمجموعة من أساليب التفكير والتصرف، واتخاذ القرارات والمشاعر المتأصلة والفريدة لشخص معين، ولقد بدأت دراسة وتحليل شخصية الإنسان من اليونانيين القدماء وخاصة من أبو قراط الذي اعتقد أن الاختلاف في الشخصيات بين بني البشر يرجع إلي اختلاف نسب ما وصفه بالسوائل الحيوية الأربعة وهي حسب أبو قراط: الدم والمادة الصفراء من مرارة الإنسان والمادة السوداء من مرارة الإنسان والبلغم، فعلي سبيل المثال اعتقد أبو قراط أن "الشخصية الدموية" يكون ذات صفات متفائلة ومحبة للمغامرة بعكس "الشخصية البلغمية" التي تكون غير مبالية.

بعد أبو قراط حاول أرسطو تحليل الاختلاف في الشخصيات فقام بتفسيرها حسب قسمات الوجه والبناء الجسمي للشخص فعلي سبيل المثال اعتقد أرسطو أن الأشخاص ذوي البنية النحيفة يكونون عادة خجولين، وقام داروين بتحليل الشخصية كعوامل غريزية اكتسبها المرء من غرائز البقاء الحيوانية أما سيجموند فرويد فقد حلل شخصية الإنسان بصراع بين الأنا السفلي والأنا والأنا العليا، في الوقت الحالي يعتبر عاملا الوراثة والمجتمع المحيط بالفرد من أهم العوامل التي تبني شخصية الإنسان.

وعرف مورتون الشخصية بأنها حاصل جمع كل الاستعدادات والميول والغرائز والدوافع والقوي البيولوجية الموروثة وكذلك الصفات والميول المكتسبة، ويقول شن أن الشخصية هي التنظيم الديناميكي في نفس الفرد لتلك الاستعدادات الجسمية والعقلية الثابتة نسبياً التي تعتبر مميزا خاصا للفرد وبمقتضاها يتحدد أسلوبه في التكيف من البيئة.

أولاً: المفهوم اللغوي للشخصية:

نقول في اللغة العربية شخص يشخص تشخيصا، ونقول: شخص الطبيب المرض أي بين وحدد المرض وهي الصفات أو الميزات التي يتصف بها المرض وغيرها من الأمراض، إذن التشخيص هنا: بمعني التجسيد وعلي هذا الأساس فالشخصية هي مجموع الصفات المختلفة التي تميز بين الأفراد أو الكائنات.

وكلمة الشخصية في قاموس اللغة العربية مشتقة من الفعل (شخص . يشخص . شخوصا) أي خرج من موضع إلي غيرة وكلمة شخوصا في القاموس تعني ارتفع (برز) وكل جسم له شخوص وارتفاع (بروز) أما كلمة شخصية فجاء من الفعل شخص حيث يُقال دائما شخص الشئ أي عاينه، وحدد خصائصه الظاهرية والداخلية أيضا، وجاء في لسان العرب "شخص: جماعة شخص الإنسان وغيره" وهو كذلك "سواد الإنسان تراه من بعيد، وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه"، وقد ورد في نفس المعجم معني آخر للشخص وهو أنه "كل جسم له ارتفاع وظهور، والمراد به إثبات الذات فأستعير لها لفظ الشخص.

ثانيا: المفهوم الاصطلاحي للشخصية:

أما من الناحية العلمية فقد تعددت تعريفات الشخصية وتنوعت لكن أغلبها يدور حول محور واحد قريب الصلة بالمعني السابق ويكون المقصود علميا بالشخصية هو ما جاء في الأصل اللغوي العربي للكلمة من أنها مجموعة المكونات والصفات الداخلية التي تبدو بوضوح في سلوك الفرد وتميزه عن غيره من الأفراد الآخرين.

وفيما يلي عرض تعريفات بعض العلماء للشخصية:

يعرف سيد غنيم (1984 ، 521) الشخصية بأنها "تلك التنظيم أو تلك الصورة المميزة التي تأخذها جميع أجهزة الفرد المسئولة عن سلوكه خلال حياته"، أي أن الشخصية ليست مجرد مجموعة أجزاء بل عمليات تنظيمية كاملة وصورية لتفسير نمو الشخصية وتركيبها، أما النفسية الجسمية فتعني أن تنظيم الشخصية يتضمن عمل كل من العقل والجسم في وحدة لا تنقصم، بينما تشير الأجهزة إلي وجود نظام مركب م العناصر التي تتفاعل في تبادل.

بينما يعرفها عادل الأشول (1978، 16) علي أنها "الصورة المنظمة المتكاملة بسلوك فرد ما، يشعر بتميزه عن الغير أو أنها ذلك المفهوم أو النظام الذي ننسبه لشخص ما من حيث هو كل وحدة عن الأساليب السلوكية والإدراكية المعقدة التنظيم والتي تميزه عن غيره من الناس والذي نعترضة في محاولتنا لتوضيح السلوك ذوي المعني والدلالة بين الفرد والآخرين والعمليات التي بداخل هذا الفرد".

ويذكر حامد زهران (1978، 9) أن الشخصية هي "جملة الصفات الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية التي تميز الشخص عن غيره".

كما يذكر فرج عبد القادر طه (1979، 14) أن "الشخصية في تغير نسبي مستمر منذ بدء تكوينها كنتيجة للتفاعل المستمر بين إمكانياتها الموروثة وظروفها البيئية التي تعيش فيها متأثرة بها ومؤثرة فيها فكل وقت يمر علي الشخص أو حدث يتعرض له أو ظرف يحيط به يحدث تغيير أقل أو كبير في هذا الكل الدينامي المتكامل من أجهزته النفسجسمية والذي يصطلح علي تسميته شخصية".

ويري أحمد محمد عبد الخالق (1983، 6) أن الشخصية "تنظيم دينامي داخل الفرد وله قدر كبير من الثبات والدوام لمجموعة الوظائف أو السمات أو الأجهزة الإدراكية والنزعوية والانفعالية والمعرفية والدافعية والجسمية والتي تحدد طريقة الفرد المتميزة في الاستجابة للموقف وأسلوبه الخاص في التكيف للبيئة وقد ينتج عن هذا الأسلوب توافق أو سوء توافق".

وقد ورد لفظ الشخصية علي نحو ما أوضح ألبورت في كتابات ششرون بأربع معاني مختلفة تستمد جذورها من فكرة المسرح، والجدير بالذكر أن هذه المعاني تشتمل علي جميع الأفكار الحديثة لهذه الكلمة، **فالشخصية يمكن النظر إليها باعتبارها:**

أ- الفرد كما يظهر للآخرين، وليس ما هو عليه في الحقيقة، وهي بهذا المعني تتصل بالقناع.

ب- مجموع الصفات الشخصية التي تمثل ما يكون عليه الفرد حقيقة، وهي بهذا المعني تتصل بالمثل.

ج- الدور الذي يقوم به الفرد في الحياة سواء كان دورا مهنيا أو اجتماعيا أو سياسيا.

د- الصفات التي تشير إلي المكانة والتقدير والأهمية الذاتية وهي بهذا المعني تشير إلي المركز الكبير الذي يحتله الفرد مثلا حين تتحدث عن شخص ما بأنه "شخصية كبيرة" ويسبب هذه الدلالة التي تتصل بالقيم، فإننا لا نقابل مثل هذا التعريف الأخير عادة بين التعريفات العلمية، وإن كنا نقابله في الاستعمال الدارج حين نشير إلي شخصية ما ذات حيثية ومكانة.

ويتضح مما سبق أن الشخصية الإنسانية هي شخصية الفرد بعينه وهي تعني أيضا شخصيا بالذات، وهذا يعني أن هذا الفرد كيان متفرد خاص به يحمل صفاته وسماته وخصائصه، وكل خصيصة فيه تختلف حتي عن خصيصة شقيقه التوأم، هذه الصفات أو السمات يعرف بها وتفرقه عن الآخرين من البشر، فهو تأكيد لذاته ونفي وجوده في الآخر، فالآخر ليس هو، وهو ليس الآخر، فكلاهما مختلف في الصفات والسمات والخصائص الخاصة والعامة، ولكنه متشابه في التكوين والبنية والخلق الإنساني، وما يهمنا هنا هو أن شخصية أي فرد لا تتساوي أبدا مع شخصية أي فرد آخر حتي وإن تشابه في اللون والحركات والإيماءات والتقارب النفسي والسمات الأخري، هذا التشابه مهما بدا في الظاهر تشابها في المظهر والسلوك، وفي الباطن في الذكاء والمزاج وغير ذلك من الفروق الدقيقة التي تعطي لكل شخصية صفاتها المميزة والخاصة بها، وإذا نظرنا إلي هذه التعريفات التي قدمها بعض علماء النفس، نجد أنها تتمايز في مجموعتين إحداهما تنظر إلي الشخصية "كمثير" أي من حيث قدرة الفرد علي إحداث التأثير في الآخرين، والأخري تنظر إلي الشخصية، "كستجابة" أي من حيث السلوك الذي يستجيب به الفرد وما يقوم به من أفعال في المواقف البيئية المختلفة، والحقيقة أن ليس ثمة تعارضا حقيقيا وضروريا بين هاتين المجموعتين فتأثير فرد ما في الآخرين وقيمة هذا التأثير، إنما هو دالة أو وظيفة لسلوكه واستجاباته أيضا، ومع ذلك فهناك فروق واضحة بين هذين النوعين من التعريفات، وقد يكون من المفيد أن نناقش مع ستاجنر هذين النوعين من التعريفات فقد لا يصلحا معا لوضع أساس لتعريف علمي سليم للشخصية، مما قد يمهد السبيل إلي وضع تعريف آخر أكثر دقة.

1. الشخصية كمثير:

وتعرف الشخصية كمثير ليس قاصرا علي التعريفات الدارجة، بل يجده أيضا لدي بعض علماء النفس، وهذه نتيجة طبيعية لمواقف الحياة اليومية التي يفيد فيها استخدام مثل هذه الفكرة، من هذا القبيل ما أورده "جودون ألبورت" تحت اسم "التعريفات الحيوية الاجتماعية" التي تركز علي المظهر الخارجي للفرد، وقدرته علي التأثير في الآخرين، أو ما يعرف باسم "قيمة المثير" ومن أمثلة هذا النوع من التعريفات قوله "الشخصية هي مجموع ما يحدثه الفرد من تأثير في المجتمع" أو "هي العادات أو الأفعال التي تحدث أثرها بنجاح في الآخرين" أو هي "تأثيرك في الآخرين" وهذا النوع من التعريفات وثيق الصلة أيضا بالمعني الأصلي للقناع أو الغطاء الخادع، فكثيرا ما نلجأ في حياتنا اليومية إلي أن نغلف أنفسنا وذواتنا الحقيقية بغلاف ونلبسها ثربا آخر لتبدو للعالم في مظهر يتفق والجماعة.

ويستند المؤيدون لهذا النوع من التعريف بالتأثير الخارجي إلي أنه من خلال الأحكام التي يصدرها الآخرون عنا ومن خلال تأثيرها فيهم يمكننا أن نعرف شخصياتنا كيف يتسنى لنا أن نعرف أنفسنا ما لم يحدث أثرنا في الآخرين هذا صحيح، **ولكن الأخذ بمثل هذا التعريف صعوبات ومشكلات كثيرة منها:**

1. إنه يشير إلي أجزاء معينة فقط من نمط حياة الفرد، وعلي وجه الخصوص إلي حيويته وقدرته علي التعبير والتأثير في الآخرين.

2. إنه ينظر إلي الشخصية من حيث قدرتها علي التأثير في الآخرين، وليس من حيث تنظيمها الداخلي، فنظرته إذن نظرة سطحية خارجية، وهذا العيب يظهر في كتابات الذين يأخذون بوجهة النظر الحيوية الاجتماعية والتي تتعارض مع وجهة النظر الحيوية الفيزيقية التي تذهب إلي أن الشخصية هي من الناحية السيكولوجية الفرد كما هو يصرف النظر عن الأسلوب الذي يدرك به الآخرون سماته أو يصرف النظر عن تقديرهم لهذه السمات.

3. أن التطبيق الجامد لوجهة نظر الشخصية كمثير، يؤدي كما يذهب ستاجنر أيضا إلي موقف غريب كل الغرابة، يكون فيه الفرد الواحد عددا غير محدود من الشخصيات، شخصية لكل فرد من الأفراد الذين يتصل بهم، لأن كل واحد منهم سوف يتأثر تأثيرا مختلفا، وسوف تكون لشخصيته قيمة تأثيرية مختلفة فالشخص الواحد سوف لا يقيم بنفس النظرة من أمه وزوجته وموظفيه وزملائه ومنافسيه، فتعريف الشخصية علي هذا النحو يكون مستحيلا.

4. أن الأثر الكلي الذي يحدثه الفرد في المجتمع سوف يؤدي إلي تمييز خطير بين درجات أعلي أو أقل في الشخصية، فالأفراد المختلفون لهم درجات مختلفة متفاوتة من الفاعلية والتأثير في المجتمع الذي يعيشون فيه، فإحدى نجمات السنيما التي تكثر الصحف نشر صورها يكون تأثيرها علي هذا الأساس أكبر من تأثير العالم الذي يكرس كل حياته ووقته في القيام ببحوثه العلمية في معمله وبعيدا عن الأضواء ولذلك نجد أن وجهة النظر الحيوية الفيزيقية تعارض فكرة التأثير هذه، وتجعل لكل إنسان شخصيتة بصرف النظر عما يحدثه من تأثير في الآخرين، فالتأثير ليس بأي حال من الأحوال معيارا لوجود الشخصية.

5. إن من المستحيل أن تتكرر أن لكل فرد صفات متميزة وشخصية مستقلة عن ملاحظات الناس له، صحيح أن الإنسان لا يعيش بمعزل في العادة عن الآخرين بل يعيش في مجتمع، ولكن ليس من الضروري أن يقوم الناس بملاحظة الفرد حتي تصبح له شخصية، حقيقة أننا نستفيد من هذه الملاحظات التي يقدمها الآخرون، والتأثيرات التي تحدثها في الآخرين كجواب نكتسب منها معلومات عن شخصية الفرد، ولكن هذه الملاحظات وهذه التأثيرات ليست هي المصدر الوحيد للمعلومات، ولا ينظر إليها في العادة علي أنها هي الشخصية، فالشخصية شئ نسلم بوجوده حقيقة داخل الفرد، بصرف النظر عن تأثير الآخرين به، "إن حياة شخص ما في جزيرة نائية بعيدة عن الناس تحت ظروف خاصة لا تنفي عنه وجود الشخصية".

لهذه الأسباب وغيرها يعترض "جوردون ألبورت" بشدة علي هذا النوع من التعريفات، ويذهب إلي أنه لا يفيد عالم علم النفس كثيرا، فما لم ينظر الباحث إلي الشخصية نظرة مباشرة كما يفعل مع أية حقيقة

موضوعية أخري، فسوف يخضع لاعتبارات السمعه والمكانة والتقديرات الخاطئة والشائعات والفاعلية الاجتماعية.

2. الشخصية كاستجابة:

وتلافيا للصعوبات التي واجهت علماء النفس في تعريف الشخصية كمثير، ظهر كرد فعل اتجاه آخر إلي الشخصية كاستجابة، فهذا "فلويد ألبورت" في كتابه السابق الذكر "علم النفس الاجتماعي" يعرف الشخصية بقولة: "إنها استجابات الفرد المميزة الاجتماعية وأسلوب توافقه مع المظاهر الاجتماعية في البيئة"، فشخصية الفرد إذن هي دالة أو وظيفة لسلوكه واستجاباته للمواقف المختلفة.

والحقيقة أن هذا النوع من التعريفات يعتبر كما يقول ستاجنر تقدما ملحوظا بالقياس إلي الاتجاه الدارج، ذلك أن الشخصية أصبحت ترتبط هنا بمظاهر موضوعية سلوكية يمكن دراستها وقياسها بمختلف وسائل القياس التي يستخدمها علم النفس العلمي.

ولكن يعترض علي مثل هذه التعريفات بالاستجابة بأن التعريف قد يصبح عاما وشاملا يغطي جوانب أكثر مما يمكن التعامل معه في الواقع، فتعريف وطسن الذي يذهب إلي أن الشخصية هي كل ما يفعله الفرد من أنشطة يمكن ملاحظتها علي مدي فترة طويلة من الزمن تكفي للوصول إلي معرفة ثابتة عنه، يعتبر من هذا القبيل.

كما أن تعريف "جاري" للشخصية بأنها العادات ونظام العادات ذات الأهمية الاجتماعية والتي تكون ثابتة وتقاوم التغير، يثير أيضا بعض المشكلات، فهو يتحدث عن نظام العادات ذات الأهمية الاجتماعية، فماذا يكون عليه الأمر بالنسبة للعادات التي ليست لها أهمية اجتماعية، فبعض الناس مثلا اعتاد الوقوف أمام المرآة والضحك لصورهم عندما يكونون علي انفراد، وهي عادة من الواضح أن ليس لها قيمة اجتماعية، وإن كانت ذات دلالة بالنسبة لشخصية الفرد.

ثم أن الشخص الواحد حتى حين يواجه بنفس المثير، لا يستجيب دائما بنفس الاستجابة، كما أن شخصين مختلفين قد يستجيبان بنفس الأسلوب أو نفس الاستجابة، ولكن لأسباب مختلفة تماما فعدم الثبات في استجابات الفرد الواحد أحيانا وتشابه استجابات الأفراد المختلفين أحيانا أخري، يوحي بضرورة تعديل نظرتنا للشخصية كاستجابة.

وربما كان "جاري" يهدف من وراء تعريفه هذا إلي الجمع بين التعريفات التي تنظر إلي الشخصية كمثير، وتلك التي تنظر إلي الشخصية كاستجابة، فقوله "ذات الأهمية الاجتماعية" يبدو أنه يرادف التأثير الذي يحدثه الفرد في الآخرين، فكأنه يريد أن يحتفظ بالميزة العملية للتعريفات الدارجة، ويعدل أو يضيف في الوقت نفسه المزايا العلمية للاتجاه الذي يرتبط بالسلوك الذي يمكن إخضاعه للبحث التجريبي.

وتعريف الشخصية بالاستجابة قريب من هذا النوع من التعريفات التي أشار إليها "أيزيك" بصدد حديثه عن نظريات تنظيم الشخصية، بالتعريفات التجريبية التي تؤكد "الأفعال السلوكية" في مقابل تعريفات أصحاب النظريات التي تؤكد المفاهيم الدينامية.

ومن الممكن القول بأن معارضة الاتجاهين السابقين في تعريف الشخصية كمثير أو كاستجابة، ترجع إلي أن كلا منهما يؤكد الجوانب السطحية الظاهرية للشخصية فهي تعريفات أقرب إلي تعريفات القناع أو الواجهة التي تحدث أثرها في الآخرين، أما جوهر الشخصية أو تنظيمها الداخلي الذي يكمن وراء هذه الواجهة، فهو ما تغلفه هذه التعريفات، ولذلك اتجهت الدراسة نحو التركيب أو التنظيم الداخلي للشخصية والذي يمكن أن يستدل عليه من السلوك الظاهري للفرد.

3. الشخصية كمكون افتراضي داخلي:

ويفضل معظم علماء النفس تعريف الشخصية كوحدة موضوعية أو كشئ له وجود حقيقي، فهم يسلمون أن الإنسان متصل بالعالم المحيط به، يتأثر به ويؤثر فيه في كل مرحلة من مراحل حياته، وعلي ذلك، فالشخصية لها تاريخها الماضي وحاضرها الراهن، فهي علي حد قول وليم شتيرن "وحدة دينامية متعددة الأشكال".

وهذا النوع من التعريفات ينظر إلي الشخصية باعتبارها تنظيما داخليا يمكننا من تفسير مظاهر السلوك المختلفة للفرد، فهي نوع من الوحدة الداخلية التي تحدث التآزر والتكامل بين جميع أفعال الفرد، ومن قبيل هذا النوع من التعريفات تعريف "وارين" بأن الشخصية هي "التنظيم العقلي الكامل للكائن الحي في أية مرحلة من مراحل نموه، وهي تتضمن كل مظهر من مظاهر الشخصية الإنسانية:" عقله، ومزاجه، ومهاراته، وخلقه، وكل اتجاه كونه خلال حياته".

وكذلك يعرفها أيزنك "أنها التنظيم الأكثر أو الأقل ثباتا واستمرار لخلق الفرد ومزاجه وعقله وجسمه الذي يحدد توافقه المميز للبيئة التي يعيش فيه"، وهو يعني بالخلق التنظيم الأقل أو الأكثر ثباتا واستمرارا للسلوك النزوعي (الإدارة) بينما يعني المزاج التنظيم الأكثر أو الأقل ثباتا واستمرارا لسلوكه الوجداني (الانفعال)، ويعني بالعقل التنظيم الأكثر أو الأقل ثباتا واستمرارا لسلوكه المعرفي (الذكاء)، علي حين يقصد بالجسم التنظيم الأكثر أو الأقل ثباتا واستمرارا للتكوين البدني والغدي والعصبي للفرد، ويري أن الشخصية تشمل علي الأفعال المنظمه علي شكل تدرج هرمي تبدأ من أقلها عمومية إلي أكثرها عمومية، ففي المستوي الأول الاستجابات النوعية وفي المستوي الثاني الاستجابات التعودية، وفي المستوي الثالث تنظيم الأفعال التعودية في سمات، والسمات هي مفاهيم بنائية نظرية تعتمد علي الارتباطات الملاحظة بين عدد من الاستجابات التعودية، وفي المستوي الرابع تنظيم السمات في نمط عام، ويعتمد هذا التنظيم علي الارتباط الملاحظ وهي ارتباطات بين سمات متنوعة وهي التي تكون مفهوم النمط، ويفترض أيزنك عند مستوي النمط وجود أبعاد عريضة هي: الانبساط والعصابية والذكاء والتقدمية.

ويتضح مما سبق أن جميع التعريفات السابقة مختلفة عن بعضها البعض طبقا لتعدد نظريات ووجهات نظر علماء النفس في الشخصية فنجد أن البعض يركز في تعريفة علي الصفات السلوكية الخارجية فقط بينما فريق آخر ينظر إلي خصائصها من الوجهة الاجتماعية وآخرون يركزون كل اهتمامهم علي المكونات الداخلية دون أي اعتبارات أخري وسيتضح لنا مما سبق **أن هذه التعريفات تدور حول المحاور التالية :**

- أنها الطابع المميز للفرد في سلوكه وهي التي تميزه عن غيره من الأفراد فكل فرد له شخصيتة المتميزة.
- أنها تنظيم دينامي داخلي، وهذا التعريف يبعد النظرة الدارجة إلي الشخصية باعتبارها مجرد مجموع أجزاء، حيث أنها تنظر للشخصية علي اعتبارها مجموع ما يمتلكه الفرد من صفات وسمات إلي جانب التفاعل بين هذه المكونات والعلاقات الداخلية بين جميع مكونات الشخصية، كما أن هذا التعريف ينظر للشخصية ليس أنها المظهر الخارجي فقط ولكن ينظر إلي المكونات الداخلية للشخصية (حيث يوجد هناك في أحيان كثيرة رد فعل داخلي للظروف الخارجية كارتفاع ضغط الدم نتيجة تعرض الفرد لضغوط خارجية).
- صورة مميزة تأخذها جميع أجهزة الفرد المسئولة عن سلوكه.
- مجموعة سمات جسمية وعقلية وانفعالية واجتماعية التي تتكامل معا في نسق وتنظيم واحد.
- أنها تتكون نتيجة التفاعل المستمر بين الإمكانات الموروثة والظروف البيئية التي يعيش فيها الفرد، وهذه النظرة للشخصية نظرة تكاملية علي عكس بعض النظريات التي كانت تري أن شخصية الفرد تتكون نتيجة الوراثة فقط أو نتيجة العوامل الوراثية فقط فهي تري أن الشخصية تتكون نتيجة تفاعل كل من العوامل الوراثية والعوامل البيئية معا.
- تعتبر الشخصية سوية بقدر ما تنطوي عليه من حرية ومرونة تجاه المتطلبات الغريزية والأخلاقية ومتطلبات العالم الخارجي، ومدي توافقها مع العالم الخارجي المحيط.
- إدراك الطبيعة المتغيرة للشخصية وأنها في تغير نسبي مستمر فلها ماضي وحاضر، أي أن هذا التغير تغيرا بطيئا في بعض المراحل وسريع في بعض المراحل لا يمكن إدراكه بسهولة (الدليل علي ذلك لو أنك تعيش مع الطفل لا تلاحظ التغيرات التي تحدث له ولكنك لو تركت الطفل لبضع أشهر أو لسنة لسوف تري ما طرأ عليه من تغير)، كما أن هذا التغير مستمر لا يقف عند مرحلة معينة بل أنه يستمر طوال العمر.

وإذا قورنت التعاريف الأجنبية السابقة بتعريف ألبورت باعتباره أكثر التعريفات شيوعا **في هذا المجال سوف يتبين الآتي:** أن التغير الذي وضعه ألبورت في تعريفه أكثر إيضاحا في تفسير جملة توقعاتة المنفردة لظروف البيئة حيث فسرها علي سلوكه وفكره المميزين وهما يعتبران من أساليب التوافق مع البيئة وأوضح أهمية وجود الأنظمة الداخلية للكائن الحي.

أن شخصية الفرد وحدة متكاملة تتداخل جميع عناصرها وخصائصها بعضها بالبعض الآخر، أي أنها تنظيم متكامل يوحد بين جميع صفات الفرد وخصائصه وسماته الفطرية والموروثة والمكتسبة المقبولة منها أو المرفوضة من وجهة نظر المجتمع.

وفي ضوء هذه الاعتبارات يمكننا أن نأخذ بتعريف شامل للشخصية علي النحو التالي "إن الشخصية تنظيم دينامي داخل الفرد لتلك الأجهزة النفسجسمية (ألبورت) التي تحدد سلوكه وفكره المتميزين وأنها تسمح بالتنبؤ بما سيفعله الشخص في موقف معين (كاتل) وأنها التنظيم الثابت نسبيا لخلق الفرد ومزاجه وعقله وجسمه والذي يحدد توافقه المميز للبيئة التي يعيش فيها (أيزيك)".

وهذا التعريف جمع بين مكونات الشخصية في نظام دينامي ثابت نسبيا وأنماط الفرد وأساليبه في الحياة أي ربطه بالبيئة المحيطة به مع مراعاة الطبيعة المتغيرة للشخصية وبهذا تعتبر تعريفا شاملا للشخصية.

وهذه الصفات أو السمات والميكانيزمات النفسية نابعة من داخل الفرد، وهذا يعني أن الشخصية شئ ما يحمله الشخص معه في كل الأوقات ومن موقف لآخر، فنحن نشعر بأننا أنفسنا من أسبوع مضي، أو شهر مضي أو عام مضي، كما أننا نشعر أننا سنكمل علي نفس النمط الشهر القادم أو العام القادم، فهذه الصفات والسمات ثابتة نسبيا داخل الفرد عبر الوقت، وخاصة في مرحلة الرشد وغالبا ثابتة عبر المواقف المختلفة، فعندما نقول أن شخص ما غاضب في هذه اللحظة فهي تعبر عن سمة معينة في هذا الشخص يمكن أن تظهر في مواقف أخري، ولكن هذا لا يعني أن الشخصية لاتنمو ولا تتغير عبر مراحل النمو ولكن هذا التغيربطئ ويحدث علي فترات متباعدة.

كما أن سمات الشخصية منظمة تنظيما ديناميكيا، فهي ليست تجميع عشوائي من السمات والعناصر، ولكنها ترتبط ببعضها البعض بطريقة منظمة، كما أن السمات الشخصية تتأثر بالعوامل البيئية وبالآخرين في حياتنا، **وهناك العديد من الاعتبارات الأساسية التي يجب أن يتضمنها أي تعريف جيد للشخصية وهي:**

1- التكامل:

يعني الشخصية ليست مجرد مجموع الصفات التي تكونها بل تعني الوحدة الناتجة عن انتقاء هذه الصفات، وتعتبر هذه الشخصية قوية بمقدار ما يكون بين عناصرها من تماسك وتناسق وتكامل.

2- الديناميكية:

تعني التفاعل المستمر بين عناصر الشخصية وطبيعتها البيولوجية الذي يقتضي دوام التفاعل والنمو والتعبير الذي يعطي لها صفة الحيوية.

3- الثبات النسبي لسمات الشخصية:

مثل هيئة الجسم وذكاء الفرد واستعداداته الموروثة والمكتسبة، والتي تعطي للشخصية طابعها الخاص الذي يميز بين شخص وآخر، إن الشخصية ليست النواحي الجسمية فقط: بل تتضمن النواحي العقلية من أفكار ومشاعر ومكروهات وميول لا يقتصر الأمر علي وجود هذه الجسمية والعقلية بل تتضمن الشخصية طريقة إلتحام هذه المكونات وتفاعلها.

4- التكيف مع البيئة:

ويعتبر أمر أساسي في دراسة الشخصية، فمن الصعب دراسة الفرد منعزلا عن المجتمع الذي يحيط به.

5- التميز:

الطابع الفريد لكل شخص الذي يجعله مختلفا عن غيره وهو أساس مهم يبني عليه معني الشخصية.

6- الجوانب المهمة في دراسة الشخصية:

تشير منتهي مطشر(2011، 20 .21) إلي أنه من الجوانب المهمة الي يجب الاهتمام بها في دراسة الشخصية **ما يلي:**

1- تركيب الشخصية:

وقد ظهر عدد من النظريات في هذا المجال، كما في النظرية التحليلية القديمة والحديث، فضلا عن النظرية السلوكية والإنسانية والمعرفية، وهذه النظريات قدمت تفسيرا وتحليلا لمكونات الشخصية المختلفة في ضوء اتجاه كل نظرية.

2- محددات الشخصية:

ويعني بمحددات الشخصية مجموعة من المتغيرات والعوامل أو المنظومات الأكثر حسما في تحديد الشخصية ونموها، والعوامل المؤثرة في بناء وتكوين الشخصية وتركز معظم الدراسات علي العوامل الوراثية، والعوامل البيولوجية، والعوامل البيئية الاجتماعية والجغرافية، ومدي التفاعل بين تلك العوامل وإسهام كل منها في الشخصية، ويمكن النظر إلي محددات الشخصية من منظومتين رئيسيتين متفاعلتين فيما بينهم **وهما:**

أ- المنظومة البنائية:

ويقصد بالمنظومة البنائية بنية الفرد وتركيبه الداخلي من ناحية الأجهزة المختلفة كالجهاز العصبي، والجهاز الغدي والأنسجة والخلايا المختلفة، حيث تناولت نظرية الأنماط بعض الأنماط التكوينية أو البنائية مثل نظرية هيبوقراط وكرتشمر وشيلدون.

ب- المنظمة الاجتماعية:

ويقصد بها العوامل الاجتماعية مثل ثقافة المجتمع والعادات والتقاليد والقيم الاجتماعية، والبيئة الأسرية، والبيئة الجغرافية التي يعيش فيها الفرد، والتراث التاريخي والحضاري، وبهذا لا يمكن دراسة الشخصية بطريقة مجردة في المجتمعات المختلفة، لأنها ضرورة تعكس هذا التراث الحضاري، وتعكس ظروف البيئة المادية والاجتماعية التي تحيط بالفرد.

3- تقييم الشخصية:

وهي عملية قياس الشخصية وأساليب التعرف عليها وتقويمها، وقد كان أهم أساليب القياس التي ابتدعها العلماء والمنظرين هي: المقابلة، ومقاييس التقدير، وقوائم الصفات والمشكلات، والاختبارات الموضوعية والإسقاطية، وغيرها.

ومهما اختلف العلماء في تنظيم القوائم التي تشمل مكونات الشخصية وتصنيفها فإنهم لا يختلفون علي **الأبعاد الرئيسية الآتية:**

أ- النواحي الجسمية والفسيولوجية:

وقد يطلق عليها الجانب الجسمي من الشخصية أو الصفات الجسمية وهي التي تتعلق بالشكل العام للفرد وصحته الجسمية، إن للتكوين الجسمي أثر كبير في الشخصية سواء كان ذلك من حيث التشريح أو وظائف الأعضاء أو الصحة العامة، فالنمو الجسمي وسلامته من جهة وتوافقه مع الجانب العقلي والاجتماعي من جهة ثانية له أهمية كبيرة علي الشخصية من حيث سلامتها واعتدالها، فأي ختلاف في أي جهاز من أجهزة الجسم كالجهاز العصبي أو حاسة من حواس الفرد كالبصر والسمع أو أي اضطراب في إفرازات الغدد الصماء كالغدة الدرقية أو الغدة التناسلية يؤدي إلي اختلاف في سلوك الفرد واضطراب في شخصيته.

كما تشمل النواحي الجسمية الطول أو القصر، النحافة أو البدانة، لون البشرة، لون العينين، لون الشعر، بنية وشكل الجسم، مثل شكل الوجه، تناسق الجسم وغيرها من الصفات التي تعود إلي طبيعة وشكل الجسم (الجانب المادي الملموس أو المحسوس أو الظاهر من الشخصية)، كما تشمل حالة الغدد وإفرازاتها.

ومما لا شك فيه أن النواحي الجسمية تؤثر في الحالة النفسية وخاصة في الناحية الانفعالية والمزاجية للفرد والتي تعتمد في أساسها علي التركيب الكيمائي والدموي، **ومن أهم النواحي الجسمية التي يظهر لها أثر واضح في تكوين الشخصية هي:**

. بنية الجسم من حيث النمو والنضج.
. حالة الجهاز العصبي.
. حالة الغدد الصماء.
. المظاهر الحركية.
. العاهات والأمراض الجسمية.

ب- النواحي العقلية المعرفية:

المقصود بالنواحي المعرفية تلك العمليات والعوامل العقلية والوظائف العقلية العليا كالذكاء

والقدرات الخاصة كالقدرة اللغوية والقدرة العددية والتي يتوقف عليها كسب المعرفة والخبرة، وهي السمات والخصائص العقلية وهي تلعب دور هام في عملية التعلم وتشمل العديد من الخصائص والسمات مثل: القدرة علي التذكر، الذاكرة، التركيز، الانتباه، التفكير، الاستنباط والاستدلال، اليقظة العلمية، التخيل، والقدرة اللغوية، والقدرة علي حل المسائل الحسابية، التصور، الإدراك، الاستنتاج، إدراك العلاقات بين الأشكال ...إلخ، كما تشمل مجموع خبرات الفرد ومعلوماته.

كما تشمل النواحي العقلية العمليات والقدرات العقلية، فالعمليات العقلية هي كل ما يتصل بالإحساس والإدراك والتصور والتخيل والقدرة علي التفكير والتعلم أي كل العمليات التي يقوم بها العقل لتكوين الخبرات المعرفية، أما القدرات العقلية فهي الاستعدادات التي يزود بها الفرد وتساعده علي اكتساب الخبرة مثل الذكاء.

ج- النواحي الاجتماعية:

وهي الجانب الاجتماعي من الشخصية وهو يتضمن السمات الاجتماعية التي تظهر في تفاعل الفرد مع أفراد المجتمع الآخرين وتشمل هذه السمات: الانبساط، الانطواء، التفاعل مع أفراد أسرته وأفراد المجتمع، إقامة علاقات مع أقرانه وصداقات والقدرة علي الحفاظ علي هذه العلاقات والصداقات والذكاء الاجتماعي.

د- النواحي الانفعالية أو المزاجية:

وتتضمن أساليب النشاط الانفعالي النزعوي، ويعتبر البعض أن الخلق هو شخصية ولكن الحقيقة ما هو إلا جانب من جوانبها ويتصل بالجوانب المختلفة ويتفاعل معها وتشتد صلته بالناحية المزاجية لدرجة جعلت بعض الباحثين يذهب لدمج الجانبين وكأنهما واحد غير أن الجانب الخلقي نتائج عوامل البيئة والوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد، فهو أكثر ارتباطا بالحياة العلمية، وبمعني آخر يعتبر الخلق هو المحصلة الناتجة من تفاعل الجانب العقلي والمزاجي مع البيئة، ولذا يمكن اعتبار النواحي المزاجية المواد الخام للصفات الخلقية.

ويقصد بالنواحي المزاجية الاستعدادات الثابتة نسبيا المبنية علي ما لدي الشخص من الطاقة الانفعالية مثل الحالات الوجدانية والطبائع والمشاعر والانفعالات من حيث سرعة استثارتها أو بطئها وقوتها أو ضعفها، والدوافع الغريزية تعتبر هي أبرز نواحي الشخصية ويعتقد بعض علماء النفس أن الشخصية ما هي إلا نواحي مزاجية فقط، كما يتضمن الجانب المزاجي السمات الانفعالية مثل الغضب، الانفعال، التحكم في نوبات الغضب، السيطرة علي الانفعالات، القلق، الاكتئاب، الفرح، السرور.

ه- النواحي الخلقية:

ويقصد بها العادات والميول وأساليب السلوك المكتسبة وتتكون الصفات الخلقية لدي الفرد نتيجة ما يمتصه من البيئة الخارجية التي تحيط به سواء عن طريق المنزل أو المدرسة أو المجتمع وهي أكتر مكونات الشخصية قابلية للتغير والتطور.

و- النواحي البيئية:

يقصد بالبيئة جميع العوامل الخارجية التي تؤثر في الشخص من بدء نموه سواء كان ذلك متصلا بعوامل طبيعية أو اجتماعية مثل العادات والنظم التربوية والظروف الأسرية والمدرسية، ويمكن تلخيص هذه الأشياء في أربعة عوامل هي: الحالة الاقتصادية للأسرة، وجود الآباء ومدي علاقتهم بالأبناء، ومدي صلاحية المنزل للتربية وما يقدمه الآباء للأبناء من وسائل تعليمية، والحياة المدرسية والعلاقة بالمدرسين، والبعض الآخر وهم التربويون يرون أن الشخصية **تتكون من :**

أ- **الجانب الوجداني:** وهو كل ما يتعلق بالقيم والأخلاق والعاطفة والسلوك أي لا يتدخل العقل به.

ب- الجانب العقلي المعرفي: يهتم بتجميع المعارف والخبرات.

ج- الجانب الحركي: يضع من اهتماماته الجسم والذات البشرية ككل.

نمو الشخصية:

استفادت نظريات الشخصية كثيرا من النظريات النمائية، حيث قدمت منظورا زمنيا للشخصية، لأنه يهتم بمراحل نمو الشخصية منذ لحظة الميلاد وحتي الوفاة، ويشير مفهوم النمو في نظرية الشخصية إلي المتغيرات البنائية التي تطرأ علي الشخصية منذ المهد إلي الرشد، وبالطبع تؤثر عملية النمو، بالعوامل الوراثية والاجتماعية والفيزيولوجية والبيئية التي تحدد مظاهر ومطالب النمو لكل مرحلة نمائية.

وبسبب التعدد النظري في دراسة الشخصية، فقد أدرك المنظرون مراحل نمو الشخصية بصور مختلفة، وعلي ذلك، ترجع بعض الاختلافات بين نظريات النمو إلي الظواهر النمائية المختلفة، إلي غير ذلك من الظروف التي تتصل بفترات الحياة التي تهتم بدراستها.

مفهوم النمو:

يشير مصطلح "النمو" إلي كافة التغيرات والتطورات التي تحدث للفرد خلال مراحل نموه المختلفة، فالنمو يتعلق بالتغيير في الحجم والتعقد والنسب وسائر التغيرات النزعية التي تطرأ علي العضلات والعظام ولون البشرة وما إليها. (Gesell,.....).

ويشمل النمو كافة التغييرات العضوية والوظيفية التي تسير بالكائن البشري إلي الارتقاء حتي ينضج.

وهو كذلك مجموعة من التغيرات المتتابعة، التي تسير حسب أسلوب ونظام مترابط متكامل تظهر فيه كل من الجانب التكويني والوظيفي الحي.

ومما هو جدير بالذكر أن كلمة "النمو" في معناها الخاص والضيق تتضمن كافة التغييرات الجسمية والفسيولوجية كالطول والوزن والحجم، نتيجة التفاعلات البيوكيميائية التي تحدث في الجسم كتأثير الغدد الصماء، ولكن النمو بمعناه العام فيشمل بالإضافة إلي ما سبق كافة التغيرات في السلوك والمهارات والنواحي العقلية والانفعالية والاجتماعية، ويعد النضج والتعلم من العوامل المؤثرة في شكل النمو ومحتواه، فالنضج يمكن اعتباره الأساس المكون الداخلي لمصطلح "النمو" الأكثر شمولا واتساعا.

أما التعلم فإنه يتضمن حدوث التغير في السلوك نتيجة للممارسة أو التدريب أو الخبرة.

والنمو بمعناه النفسي يتضمن كافة التغيرات العضوية والفسيولوجية (التغيرات التكوينية) والتغيرات الانفعالية والعقلية والاجتماعية (التغيرات السلوكية) التي تحدث للفرد ويمر بها خلال دورة حياته.

يعتبر علم نفس النمو فرعا من فروع علم النفس يهتم بدراسة كافة التغييرات السلوكية النمائية التي تطرأ علي الفرد خلال مراحل نموه المختلفة ابتداء من لحظة الإخصاب حتي الممات، ويهدف هذا العلم إلي اكتشاف المبادئ التي تفسر جوانب السلوك خلال مراحل العمر المختلفة.

ويعرف كذلك بأنه أحد فروع علم النفس الذي يهتم بدراسة التغيرات التي تطرأ علي السلوك الإنساني منذ الولادة إلي الوفاة، وهذه التغيرات شاملة؛ بمعني أنها تحدث للكائن في كل الجوانب، وإن كانت لا تحدث بسرعة واحدة أو بمعدل واحد في كل جانب من جوانب شخصية الفرد، وتشمل التغيرات مايلي:

وعلم نفس النمو هو الدراسة العلمية لنمو سلوك الفرد وتطوره ونضجه خلال دورة الحياة؛ أي من لحظة الإخصاب (مرحلة ما قبل الميلاد) حتي الوفاة، بهدف الكشف عن القوانين والمبادئ التي تفسر جوانب السلوك في مراحل العمر المختلفة.

مراحل نمو الشخصية:

انعكست دراسات النمو فقد علي دراسات الشخصية ونمائها، كما تعددت الاتجاهات التي تقسم مراحل نمو الشخصية عل أسس مختلفة بعضها يرتكز علي الأسس التربوية (التعليمية) والآخر يرتكز علي الأسس البيولوجية.

وفيما يلي نستعرض أهم الأسس في تقسيم مراحل النمو:

1- المراحل الأساسية العامة للنمو الإنساني:

يمر الكائن البشري خلال مراحل نموه المختلفة ابتداء من لحظة الإخصاب حتي مماته **بمراحل أساسية عامة هي:**

1. مرحلة ما قبل الميلاد (الجنينية).
2. مرحلة الطفولة.
3. مرحلة المراهقة.
4. مرحلة الرشد والنضج.
5. مرحلة وسط العمر.
6. مرحلة الشيخوخة.

فالإنسان كوحدة بشرية ينتقل من مرحلة إلي أخري ومن طور إلي آخري ومن طور إلي آخرخلال مراحله النمائية المختلفة، ويتأثر طول مدي الحياة المتوقع للفرد بعوامل عديدة منها: الحالة الصحية العامة للفرد، والنظام الغذائي الذي يتبعه الفرد في حياته، والمستوي الاقتصادي والاجتماعي له، والظروف الثقافية والحضارية المحيطة به، والرعاية الصحية والاجتماعية له، **وفيما يلي مراحل النمو علي الأساس العضوي:**

1. ما قبل الميلاد (الجنينية): من لحظة الإخصاب إلي الميلاد (280 يوما).
2. المهد: من الميلاد حتي أسبوعين.
3. الرضاعة: من أسبوعين إلي عامين.
4. الطفولة المبكرة: من 2-5 سنوات.
5. الطفولة الوسطي: من 6- 8 سنوات.
6. الطفولة المتأخرة: من 9- 12 سنة.

7. المراهقة المبكرة: من 13- 15 سنة.
8. المراهقة الوسطي: من 16-18 سنة.
9. المراهقة المتأخرة: من 19-21 سنة.
10. الرشد والنضج: من 22- 40 سنه.
11. وسط العمر: من 41-60 سنة.
12. الشيخوخة: من 60 حتي الممات.

أما مراحل النمو علي الأساس التربوي فهي كما يلي:

1. مرحلة ما قبل الميلاد: مدة الحمل.
2. الوليد: من الميلاد حتي أسبوعين.
3. الرضيع: من أسبوعين حتي عامين.
4. مرحلة ما قبل المدرسة(الحضانة): من 2-5 سنوات.
5. مرحلة المدرسة الابتدائية: من 6-12 سنة.
6. مرحلة المدرسة الإعدادية: من 13-15 سنة.
7. مرحلة المدرسة الثانوية: من 15-18 سنة.
8. مرحلة التعليم الجامعي: من 18-22 سنة.
9. مرحلة العمل: من 22-60 سنة.
10. مرحلة التقاعد: من سن 60 حتي الوفاة.

طرق البحث في نمو الشخصية:

البحث في علم نفس الشخصية هو عمل علمي ينتمي إلي فئة العلم التجريبي (الإمبريقي)، والباحثون في هذا النوع من المعرفة يلتزمون بنظام قيمي يسمي الطريقة العلمية التي توجه محاولاتهم للوصف والفهم والتنبؤ والتحكم (التأثير)، والطريقة العلمية في البحث إذا هي لون من الاتجاة أو القيمة، وهذا الاتجاه العلمي أو القيمة العلمية يتطلب من الباحث الاقتناع والالتزام **بمجموعة من القضايا هي:**

1- الملاحظة:

- هي جوهر العلم التجريبي، وعلم النفس ينتمي بالطبع إلي فئة هذه العلوم، والمقصو هنا الملاحظة المنظمة لا الملاحظة العارضة أو العابرة.
- تتمثل أهمية الملاحظة في العلم في أنها تنتج أهم عناصره وهي مادته الخام؛ أي المعطيات والمعلومات أو البيانات.
- لابد للمعطيات أو المعلومات أو البيانات التي يجمعها الباحث العلمي بالملاحظة أن تتسم بالموضوعية، والموضوعية في جوهرها هي اتفاق الملاحظين في تسجيلاتهم لبياناتهم وتقديراتهم وأحكامهم اتفاقا مستقلا.

- تتطلب الموضوعية أن يقوم بعمليات التسجيل والتقدير والحكم (وهي المكونات الجوهرية للملاحظة العلمية) أكثر من ملاحظ واحد، علي أن يكونوا مستقلين بعضهم عن بعض، وهذا يتضمن قابلية البحث العلمي للاستعادة والتكرار.
- المعطيات والمعلومات والبيانات التي يجمعها الباحثون بالملاحظة العلمية هي وحدها الشواهد والأدلة التي تقرر صحة الفروض أو النظرية، وعلي الباحث أن يتخلي عن فرضه العلمي أو نظريته إذا لم تتوافر أدلة وشواهد كافية علي صحتها.

2- الطريقة التجريبية:

الطريقة التجريبية أساس التقدم العلمي في مجالات المعرفة البشرية لأنها تنتهي إلي الكشف عن أسباب الظواهر والعوامل المؤثرة فيها،ولذا تعد هذه الطريقة هي الطريقة الرئيسية في أبحاث العلوم الطبيعية، وتقترب العلوم الإنسانية من دقة وموضوعية تلك العلوم بمقدار استخدامها لتلك الطريقة في أبحاثها المختلفة.

وهي تحقق كل الأهداف الأربعة الأساسية للبحث العلمي وهي: الوصف والفهم والتنبؤ والتحكم، ولا تكاد ترقي أغلب الطرق الأخري إلي ما ترقي إليه التجربة، لأن تلك الطرق غالبا ما تنتهي عند هدف الفهم ولا ترقي إلي هدف التحكم، والطريقة التجريبية تحتوي علي عدة أنواع من المتغيرات، **هي:**

المتغير المستقل والمتغير التابع:

1- المتغير المستقل:

هو العامل الذي يظهر أو يختفي أو يتغير تبعا لظهور أواختفاء أو تغير المتغير الذي يتحكم فيه الباحث ويعالجه تجريبيا فيظهره أو يخفيه أو يزيده أو ينقصه في محاولته لتحديد علاقته بظاهرة يمكن ملاحظتها.

2- المتغير التابع:

وهو الاستجابة أو متغير الاستجابة، والباحث لا يتحكم فيما يحدث للمتغير التابع، وما عليه إلا أن يسجل ما يحدث لهذا المتغير نتيجة لتحكمه هو في المتغير المستقل، وذلك لأن ما يحدث للمتغير التابع هو في الحقيقة نتيجة لما حدث أو يحدث للمتغير المستقل.

ولأجراء الدراسة التجريبية يلزم الباحث عدة مجموعات:

المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة:

- المجموعة التجريبية هي المجموعة التي يتعرض أفرادها للمتغير المستقل.
- المجموعة الضابطة هي التي يناظر أفرادها المجموعة التجريبية ولا يتعرضون للمتغير المستقل. فإذا كان الهدف مثلا هو قياس أثر وجود الجماعة علي إنتاج الفرد فإن الجماعة التجريبية في هذه الحالة يمكن أن تكون من مجموعة من الأفراد بحيث يعمل كل فرد من أفرادها في مواجهة جماعة

من الناس وتصبح المتغيرات التابعة في المجموعة التجريبية إنتاج الأفراد في الأعمال التي يقومون بها.
وتتكون المجموعة الضابطة من مجموعة من الأفراد، بحيث يناظر أفرادها المجموعة التجريبية ويعمل كل فرد من أفرادها بمعزل عن جماعة المواجهة التي يتعرض لها أفراد الجماعة التجريبية، وبذلك لا يتعرض أفراد مثل هذه الجماعة للمتغير المستقل، وتصبح المتغيرات التابعة أيضا هي إنتاج أفراد الجماعة الضابطة أو استجاباتهم.

3. الطريقة المستعرضة:

وتعتمد في جوهرها علي انتقاء عينات مختلفة من الأفراد من مختلف الأعمار، ثم نلاحظ فيهم بعض جوانب موضع الاهتمام أو تطبق عليهم مقاييس لهذه الجوانب من السلوك، علي أن تتم الملاحظ أو القياس في نفس الوقت تقريبا، ويقارن أداء العينات المختلفة في كل مقياس علي حدة، وتتم هذه المقارنات في ضوء متوسطات العينات، أي أن المقارنة بين مختلف الأعمار تتم في ضوء الفروق بين المجموعات.

4. الطريقة الطولية:

وفيها تتم ملاحظة نفس العينة من الأفراد التي تكون من نفس العمر لحظة البدء في البحث وإعادة ملاحظتهم أو اختبارهم عدة مرات علي فترات زمنية مختلفة، وهذه الفترات تختلف حسب طبيعة البحث؛ أي أن هذه الطريقة تتطلب تكرار الملاحظة والقياس لنفس المجموعة من الأفراد لفترة زمنية معينة، وبالطبع فإن مدي الزمن المستغرق والفواصل الزمنية بين الملاحظات والاختبارات تختلف من بحث لآخر، وذلك حسب طبيعة موضوعه، ففي بحث حول نمو تفضيل إحدي اليدين في العمل اليدوي يختبر الأطفال ابتداء من سن 10 شهور مرة كل شهر حتي يصلوا إلي العمر الذي يظهر فيه تفضيل لإحدي اليدين علي الأخري، وهو عادة ما يكون سن 18 شهرا، وفي بحث النمو العقلي قد يحتاج لفترات زمنية أطول، فالأطفال يختبرون كل شهر عندما يكون عمرهم بين شهر واحد و15 شهرا، ثم كل 3 شهور بعد ذلك حتي يصلوا إلي سن 2-5 سنة، ثم كل 6 شهور حتي يصلوا إلي سن الخامسة، ثم كل سنة حتي سن المراهقة، وبعض البحوث تتضمن نظاما مختلفا وفترات زمنية أطول وخاصة حين يكون اهتمامها بالنمو عبر مدي الحياة.

5- المنهج التاريخي:

يعتمد هذا المنهج علي البعد التاريخي في دراسة بعض مظاهر نمو الشخصية في الماضي، ويمد هذا المنهج "الدراسات النمائية المقارنة" بالعديد من المعلومات عن حقائق نمو الشخصية في الماضي.

وعلي سبيل المثال يمكن أن يقارن الباحث المهتم في نمو الشخصية بين أطوال وأوزان بعض الأجيال السابقة وذلك للتحقق من صدق الفرض القائل بأن الأجسام الإنسانية لديها استعداد فطري ووراثي للزيادة في الطول والوزن جيلا بعد جيل، وخاصة أن هذا الفرض ما زال يثير جدلا بين علماء التاريخ.

6. المنهج الوصفي:

يركز هذا الأسلوب علي وصف السلوك خلال مراحل النمو المختلفة للشخصية، وفي مرحلة من مراحل نمو الشخصية، وفي مرحلة عمرية محددة من مراحل نمو الفرد، وفي ظروف ثقافية واجتماعية وحضارية مختلفة.

والطريقة الوصفية لا تهتم فقط بوصف خصائص النمو المختلفة للفرد (الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية والحسية والحركية ... إلخ) عند كل سن، ولكنها تهتم أيضا بكيفية تغير هذه الخصائص مع مرور الزمن، فالباحث في النمو العقلي للطفل مثلا لا تهتم فقط بوصف نوع العملية وخصائصها عند كل سن معينة، بل يتعدي ذلك إلي محاولة التعرف علي الطريقة التي يتم بها تتابع هذا النمو العقلي في مراحله المختلفة.

وعلي هذا فالطريقة الوصفية في دراسة نمو الشخصية لا تتناول الوضع القائم لأي مظهر من مظاهر النمو والعلاقات المتبادلة بين هذه المظاهر فحسب، بل يتناول أيضا التغيرات التي تحدث لهذه المظاهر النمائية نتيجة لمرور الزمن فهي تصف هذه المظاهر في مجري تطورها عبر فترة تمتد شهورا أو سنوات عديدة.

7. المنهج الإنثروبولوجي:

يعد الأسلوب الإنثروبولوجي من الأساليب الهامة لدراسة السلوك الإنساني في ثقافات مختلفة، ويهتم هذا الأسلوب بالدراسات عبر الثقافية، ويقوم المنهج الإنثروبولوجي علي الملاحظة الميدانية التي يقوم بها الباحث شخصيا أو الاعتماد علي شخص آخر أو أكثر في تزويده بالمعلومات التي تلزمه، ويقوم في نفس الوقت بإجراء ملاحظات مباشرة لعادات الأفراد وتقاليدهم وسلوكهم الاجتماعي والثقافي والتربوي وكافة أوجه نشاطهم، ويدون هذه الملاحظات دون تحيز.

وحيث أن الإنثروبولوجيا هي علم دراسة الإنسان، فهي تهتم بدراسة حضارة الإنسان وثقافته عبر ثقافات مختلفة، وترتبط "الإنثروبولوجيا الثقافية" بداسة ثقافة الإنسان وحضارتة وأساليب تطبيعه الاجتماعي في ثقافات متباينة.

8. الطريقة عبر الثقافية:

يهتم أسلوب الدراسات عبر الثقافية بمقارنة أساليب "التربية الأسرية" وأساليب "التنشئة الاجتماعية" في ثقافات مختلفة، ويستخدم علماء نفس النمو هذه الحقائق والمعلومات التي تفيدهم في دراساتهم وأبحاثهم عن حقائق النمو الإنساني والتي تزودهم بها علماء الإنثروبولوجيا الحضارية.

نظرية فرويـد

وقائع النظرية :

بناء الشخصية عند فرويد:

إن مفهوم الشخصية في علم النفس هو بناء علمي أعد خصيصاً لعرض وتوضيح الواقع النفسي للفرد ومن هذا المنطلق قسم فرويد في نظريتة الشخصية لثلاثة نظم كل جزء منها له وظائفه وخصائصه ومكوناته ولكن هذه النظم الثلاث تتفاعل معاً ولا يمكن فصل تأثير كل منها عن الآخر وهي:

- **الهو "Id"** وهو النظام الأصلي للشخصية وهو أكثر قوي الشخصية بدائية وهمجية ويتكون من كل ما هو موروث سيكولوجيا بما في ذلك الغرائز وهو يمثل الجانب المظلم من الشخصية الذي لم تمتد له يد المجتمع بالتهذيب أو التحوير ولا يعترف بالقيم أو المعايير أو الأخلاقيات ومبدأه هو السعي للحصول علي الإشباع الفوري فلا تأجيل لدوافعه وحاجاته وهدفه الأساسي الحصول علي اللذة ويتم ذلك من خلال عمليتين هما:

. الفعل المنعكس: وهو إرجاع ولادية آلية تؤدي إلي خفض التوتر.

. العمليات الأولية: وهي إرجاع سيكولوجية تخفض التوتر بتكوين صورة للموضوع المرغوب والمحرك الأساسي للهو وهو "الليبيدو"، والهو لصيق بالإنسان لا يمكن تغييره ولا يتأثر بالخبرة أو التجربة.

- **الأنا " Ego"** وهو الممثل للعقلانية في مواجهة اندفاعات الهو وتهوره ويقوم بدور الوسيط بين الهو والعالم الخارجي وهو جزء من الهو انفصل عنه بفعل احتكاكه بالعالم الخارجي ومبدأه الذي يعمل من خلاله هو الواقع؛ ولذلك يسعي لإشباع رغبات الهو وفقاً لمقتضيات الواقع ويؤجل الإشباع الغريزي حتي يتوفر الوقت والظروف الملائمة وبهذا يحدث تكيف بين واقع الفرد الذاتي والواقع الحقيقي وهذا الجزء هو الأنا يستمد طاقته اللازمة من الهو الذي يعد مستودع الطاقة النفسية.
- **الأنا الأعلي "Super Ego"** وهو ذلك الجزء من الشخصية الذي يتكون في الطفولة المبكرة من خلال التعاليم السلوكية التي يلقاها الطفل من والديه عن طريق أساليب الثواب والعقاب فكل ما يدينه الوالدان ويعاقبانه عليه أن ينزع إلي أن يستدخله في ضميره والذي يمثل أحد شقي النظام الأنا الأعلي وكل ما يوافقانه عليه ويثيبانه عليه إلي أن يستدخله في أناه المثالي الذي يمثل الشق الآخر من الأنا الأعلي وبتكوين الأنا الأعلي يحل الضبط الذاتي محل الضبط الصادر من الوالدين.

ديناميات الشخصية:

وهنا يوضح فرويد كيفية عمل الهو والأنا والأنا الأعلي وتفاعلها مع بعضها البعض ومع البيئة من **خلال توضيح النقاط التالية:**

الطاقة Energy:

تأثر فرويد بمبدأ الحتمية الوضعية الذي وصف الكائن البشري كنظام معقد من الطاقة وهذه الطاقة لا تفقد ولكن يمكن تحويلها من صورة إلي أخري وهي المحرك الأساسي لأداء العمل وإذا كانت هذه الطاقة مرتبطة بأنشطة سيكولوجية كالتفكير والإدراك والتذكر سميت طاقة نفسية يمكن أن تتحول إلي طاقة فسيولوجية لأداء الأعمال وكل جزء من أجزاء الشخصية يمتلك طاقة ولكن الأصل كله في طاقة الهو هي طاقة مرنة يمكن توجيهها أو إبدالها أو إزاحتها وتمتلك في البداية كل طاقة الجسم ثم تقل تدريجياً.

أما طاقة الأنا فمتزايدة لقدرتها الفائقة علي خفض التوتر وطاقة الأنا مستنفذة في صراعها مع الهو والأنا.

وتقوم ديناميات الشخصية علي كيفية توزيع واستخدام الهو والأنا والأنا الأعلي للطاقة النفسية، ولما كان مقدار الطاقة محدود الكمية فإن الأنظمة الثلاثة تتنافس فيما بينها علي الطاقة الموجودة ويتحكم واحد منها في كميتها ويسيطر عليها حساب النظامين الآخرين وما أن تتزايد قوة أحد هذه الأنظمة حتي يصبح النظامين الآخرات بالضرورة أضعف ما لم يضعف إلي النظام الكلي طاقة جديدة.

الغريزة:

رد فرويد الاعتبار إلي الغرائز في علم النفس البشري، ذلك أن غالبية الفلاسفة والأخلاقيين كانت قد أدانتها وكانوا يعتبرونها بوضوح بمثابة عوامل تربط الإنسان بحالة الحيوانية وصرحوا بأنه لا يمكن الوصول إلي شكل معين من الحضارة ممكناً لولا مواجهة هذه الغرائز بلا هوادة، لأنها أرواح حيوانية فعلاً بل أذاعوا أكثر من ذلك بأن الغرائز تحول دون وصول الإنسانية إلي الكمال وإنه لأمكن قيام حياة اجتماعية متجانسة لولا وجود الغرائز.

لقد رأي فرويد أن النشاط الإنساني كله يتحدد بالغرائز، وقد يكون تأثيرها علي السلوك ملتوياً مقنعاً وقد يكون مباشراً وسافراً فالناس يتصرفون لأن التوتر الغريزي يدفعهم إلي ذلك وسلوكهم وتصرفاتهم تنقص التوتر.

أفترض فرويد أن من الممكن إدراج الغرائز **تحت فئتين عامتين:**

. غرائز الحياة.

. غرائز الموت.

تخدم غرائز الحياة غرض الحفاظ علي حياة الفرد وتكاثر الجنس، وتندرج تحت هذه الفئة: الجوع والعطش والجنس، ويطلق علي صورة الطاقة التي تستخدمها غرتئز الحياة في أداء عملها سم الليبيدو، وغرائز الحياة التي أعطاها فرويد أكثر اهتمامه هي الجنس، والحقيقة أن الغريزة الجنسية ليست غريزة واحدة بل غرائز متعددة، أي أن هناك عدد من الحاجات البدنية المنفصلة تؤدي إلي القيام برغبات شبقية، ولكل من هذه الرغبات مصدره في مناطق مختلفة من الجسم ويشار إليها باسم (المناطق الشبقية).

أما غرائز الموت أو كما يسميها فرويد أحياناً غرائز التدمير فتقوم بعملها، فكل شخص يموت في النهاية، وهذه الحقيقة دفعت فرويد إلي صياغة قولة الشهير: "إن هدف الحياة هو الموت" ومن المشتقات الهامة لغرائز الموت الباعث العدواني، فالعدوانية تدمر للذات وقد اتجهت إلي الخارج نحو موضوعات بديلة فالشخص يقاتل الآخرين وينزع إلي التدمير لأن رغبته في الموت قد عاقتها قوي غرائز الحياة،بالإضافة إلي عقبات أخري في شخصيته تتصدي لغرائز الموت وقد تمتزج غرائز الموت وغرائز الحياة ومشتقاتهما معاً، فيلزم كل منهما الآخر، فالأول مثلاً يمثل امتزاج الجوع بالتدمير فيتحقق إشباعها بقضم الطعام ومضغه وابتلاعه، كما يؤدي الحب بوصفه أحد مشتقات غريزة الجنس إلي حياة الكراهية وهي من مشتقات غريزة الموت.

القلق (الحصر):

القلق تجربة انفعالية مؤلمة، تنتج بسبب التهيج الذي يحصل في الأعضاء الداخلية للجسم، وهذا التهيج ينتج عن المنبهات الداخلية والخارجية والتي يسيطر عليها بواسطة الجهاز العصبى.

إن القلق مرادف للشعور بالخوف، ولكن فرويد فصل اصطلاح قلق عن اصطلاح خوف لأن الخوف يكون عادة تفكير شخص في الشعور من شئ ما في عالمه الخارجي، ولقد أدرك بأن الفرد يمكن أن يخاف من الأخطار الداخلية كما يخاف من الأخطار الخارجية، وإنه فرق بين ثلاثة أنواع من القلق:

(أ) القلق الموضوع الواقعي Reality Anxiety

(ب) القلق العصابي Neurotic Anxiety

(ج) القلق الأخلاقي Moral Anxiety

وهذه الأنواع لا تختلف من حيث النوعية فكلها نوعية واحدة وهي كون الفرد غير مسرور، ولكنها تختلف بالنسبة لمصادرها فحسب.

. القلق الموضوعي: رد فعل لخطر غريزي خارجي معروف.

. القلق العصابي: رد فعل لخطر غريزي داخلي سيكولوجي المنشأ.

ويلخص فرويد رأيه في العلاقة بين القلق الموضوعي والقلق العصابي فيما يلي: (.....إن التقدم الذي أحرزناه هو أننا تجاوزنا حالات القلق إلي حالات الخطر التي تكمن وراءها وإذا فعلنا نفس الشئ مع الخطر الموضوعي لما وجدنا صعوبة في حل المشكلة فالقلق الموضوعي معروف، والقلق العصابي قلق حول خطر غير معروف)

. القلق الأخلاقي: حين نخالف المعايير الوالدية المتمثلة، وحين نقلق خلقياً فإننا نخاف من عقاب الأنا الأعلي أو الضمير، والقلقون خلقياً يعرفون عادة أن ما بداخلهم هو الذي يسبب تعاستهم ويحدث قلقهم.

فالطفل الصغير يسعى من خلال ألعابه إلي التغلب علي التجارب التي تسبب له القلق والألم، ولقد تحدث فرويد عن ذلك الصبي الذي كان وهو في عمر السنة والنصف يحاول أن يعزي نفسه عن غياب أمه عن طريق الرمي بعيداً عن ناظريه لبكرة خشبية مربوطة بخيط ثم يجعلها تظهر من جديد.

لقد وجد فرويد في هذا السلوك وظيفة أساسية للعب عند الطفل تقوم علي تحويل بعض ما تعرض له سلبياً إلي عمل بسيط، إضافة إلي تحويل الألم إلي سرور بفضل النهاية السعيدة التي يفرضها علي الأحداث التي كانت في البداية مزعجة.

وفي النهاية فالوظيفة الأساسية للقلق أن يكون بمثابة إشارة خطر أو إنذار للأنا، فإذا برزت هذه الإشارة في الشعور وجب علي الأنا أن يكون حذراً.

الشعور واللاشعور وما قبل الشعور:

. الشعور Consciousness: هو منطقة الوعي الكامل والاتصال بالعالم الخارجي، وهو الجزء السطحي فقط من الجهاز النفسي.

. اللاشعور Unconsciousness: كما حدده فرويد يكون معظم الجهاز التنفسي، وهو يحوي كل ما هو كامن وليس متاحاً ومن الصعب استدعاؤه أو ما هو مكبوت ويقول أن المكبوتات تسعي إلي الخروج من اللاشعور في الأحلام وفي هفوات اللسان والأمراض النفسية.

لقد فرق فرويد بين نوعين من اللاشعور:

أ. ما قبل الشعور Preconciousness

ب. اللاشعور الأصلي.

إن الفكرة التي تسبق الشعور تصبح شعورية بكل سهولة لأن المقاومة ضعيفة، أما التفكير أو التذكر اللاشعوري فيواجهان وقتاً أصعب ليصبحا شعوريين لأن القوة المضادة قوية.

في الحقيقة توجد كل درجات اللاشعور "علي المتصل" فعلي نهاية المقياس من ناحية توجد الذكري التي لا يمكن أن تصبح شعورية مطلقاً، لأنها لا تمتلك المصاحبة للغة، وعلي النهاية الأخرى من المقياس توجد الذكري التي تكون علي عتبة الشعور.

تطور الشخصية:

كان فرويد أول صاحب نظرية سيكولوجية يؤكد الجوانب التطورية في الشخصية ويؤكد بخاصة الدور الحاسم لسنوات الطفولة المبكرة والمتأخرة في إرساء الخصائص الأساسية لبناء الشخصية، والحقيقة أن فرويد يرى أن الشخصية يكتمل القدر الأكبر منها عند نهاية السنة الخامسة من العمر وأن ما يلي ذلك من نمو يقوم في معظمه علي صياغة البناء الأساسي وقد وصل هذا الاستنتاج علي أساس خبرته مع المرضى الذين يعالجون بالتحليل النفسي.

ومن آراء فرويد، أن الطفل والد الرجل ويوضح فرويد أن الشخصية تتطور في استجاباتها لأربعة مصادر رئيسية للتوتر: عمليات النمو، والإحباطات، والصراعات، والتهديدات.

وكنتيجة مباشرة لتزايد التوتر الناتج من هذه المصادر يجد الشخص نفسه ملزماً بتعلم أساليب جديدة لخفض التوتر وهذا التعلم هو المقصود بتطور الشخصية.

ومن أهم هذه الأساليب هي ميكانزمات الدفاع أو الحيل الدفاعية وتعرف الحيل الدفاعية بأنها أنواع من السلوك والتصرفات التي ترمي إلي تخفيف حدة التوتر والألم.

وتعتبر الحيل الدفاعية ظاهرة شائعة عند كل الناس لكن الإسراف في استخدامها يدل علي وجود حالة تتسم بسوء التوافق، ونجد أن الاعتماد علي الحيل الدفاعية بشكل كبير يلحق بالفرد الكثير من الأضرار فهو يعيقه عن القيام بالحلول الواقعية والتوافق السليم كما أنه يضر بعلاقات الفرد الاجتماعية ويسبب كثيرا من المشكلات.

تتسم الحيل الدفاعية بسمتين:

. أنها تغير وتحرف في الواقع.

. أنها تعمل بشكل لا شعوري.

وفيما يلي عرض لبعض هذه الميكانزمات:

- **الإسقاط:**

هو إلصاق ما بداخل الفرد من صفات ومشاعر أو رغبات أو أفكار ومشاعر غير مقبولة من قبل الأنا إلي أشياء وأشخاص خارجيين.

- **التبرير:**

هي الميل اللاشعوري لاختلاق أسباب غير الأسباب الحقيقة التي تؤذي شعورنا وما يتضمن ذلك من خداع النفس لنفسها والتبرير صفة شائعة لدي المرضى والأصحاء علي السواء.

ويوضح أرنست جونز أن الفرد عندما يواجه موقفاً لا يستطيع أن يتصرف تصرفاً عادياً أو يذكر الأسباب الحقيقة كي لا يفقد احترامه لنفسه واحترام الناس له فيذكر أسباباً زائفة تخفف من لوم الفرد لنفسه.

- **الكبت:**

الكبت عمل لا شعوري يقوم به الجانب اللاشعوري من الأنا ويتضمن اللاشعور المادة اللاشعورية التي لم يسبق خروجها لحيز الشعور ويسمي فرويد هذه العملية بالكبت الأولي إما عن إلقاء المادة الشعورية الغر مرغوب فيها مثل الذكريات والرغبات التي تؤلم الأنا ولا يقبلها الواقع الخارجي أو الأنا الأعلي من الشعور إلي اللاشعور ويسمي هذا الكبت بالكبت الثانوي.

- **تكوين رد الفعل:**

تتضمن تلك الوسيلة الدفاعية إبدال مشاعر مثيرة للقلق في الشعور بنقيضها (كراهية . حب) وبهذه الوسيلة يستطيع الفرد التكيف والتخفيف من حدة التوتر والقلق الناتج عن هذه المشاعرالأصلية.

- **التثبيت والنكوص:**

التثبيت هو وقف النمو السوي للشخصية حيث يصبح الشخص مثبتاً علي إحدى المراحل النمائية النفسية المبكرة وعدم استطاعة الشخص التخطي لمرحلة تالية وترك جزء من الطاقة الليبيدية في هذه المرحلة والارتقاء بالأجزاء الأخري من الطاقة للمراحل التالية وهناك ميكانيزم آخر مرتبط بالتثبيت وهو النكوص وفي هذه الحالة حينما يقابل الشخص العديد من العوائق ولا يستطيع حلها بالطرق العادية فإنه يشعر بالإحباط ويرتد للمنطقة المهجورة أو التي ترك فيها جزءا من الليبيدو مثبتاً بها ويكون النكوص للمناطق التي تم بها إشباع زائد أو حرمان.

- **التقمص:**

وهو ليس شخصية لشخصية أخرى وتميز مدرسة التحليل النفسي **نوعين من التقمص**:

. **التقمص الأولي:** وهو تقمص الطفل شخصية أبيه حتي يتخلص من العقد الأدوبية.

. **التقمص الثانوي:** فهو كل ما يتم من تقمص بعد ذلك، وهناك نوع آخر من التقمص هو التوحد بالمعتدي مثل توحد الطفل بمعلمه حينما يقسو عليه.

- **التسامي والإعلام:**

وهو التعالي بنزعات الفرد الغريزية (عدوان . جنس) إلي اتجاه نافع ومفيد مثل الرياضة أو الفن.

- **التعويض:**

عندما يشعر الفرد بالعجز في موقف معين يميل نحو تعويض العجز والفشل إلي نجاح وتفوق في مجال آخر.

- **الإنكــار:**

يغفل الفرد بواقع لا شعوري عن إدراك بعض المدركات الحسية مثل رؤية بعض الاشياء أو سماع بعض الأقوال نتيجة عوامل انفعالية ونفسية وعدم رؤية أشخاص لا نحبهم في نفس المكان المتواجدين فيه.

مراحل النمو:

تبعاً لنظرية فرويد يمر كل طفل بسلسلة متتابعة من مراحل النمو وخبرات الطفل في هذه المراحل تحدد خصائص شخصيته كراشد وتكون كل مرحلة نمو مرتبطة بمنطقة هي مصدر للإثارة واللذة خلال المرحلة ولكي ينتقل الطفل بسلام عبر هذه المراحل يجب ألا يكون هناك إفراط أو تفريط في إشباع حاجاته، **وهذه المراحل هي:**

. المرحلة الفمية Oral Stage:

من الميلاد وحتي السنة الأولي ومصدر اللذة الرئيسي فيها هو الشفاه واللسان، والفراغ الفمي عن طريق التنبية واللمس الناتج عن المص والبلع والعض في مرحلة ظهور الأسنان، وحدد فرويد وظائف للفم وهي (الابتلاع . الإمساك والإصرار . العض . اللفظ . الإطباق) وكل هذه الوظائف تمثل نمط بدائي ويقصد به أسلوب للتكيف ينكص إليه الفرد في المواقف المشابهة فيما بعد وإذا مرت هذه المرحلة بسلام ظهرت الشخصيات المستقلة عن الآخرين . الواثقة من نفسها ذات القدرة علي الحوار و الجدل . أما إذا أفرط أو حدث إمساك في إشباعها ظهرت الأنماط البدائية مثل السخرية والحرص والتخريب والعدوان والنبذ والاحتقار ونتج عنها أمراض مثل (الإحباط العصبي . الهوس . انفصام . الشخصية . الابتذال . اللواط الأنثوي . إدمان المسكرات والمخدرات).

. المرحلة الشرجية Anal Stage:

من 12 إلي 24 شهراً وهي فترة ترتبط بتدريب الطفل علي عملية الإخراج وتعليمة تأجيل اللذة الناتجة عن إزالة مصدر الضيق والتوتر ومصدر اللذة هنا هو التحكم في عضلات الإخراج، وتتوقف بصورة كبيرة علي الأساليب الوالدية المتبعة في عملية التدريب فإذا كانت متشددة أدت لظهور العناد . التدمير . عدم النظافة أو القسوة والانغماس في الملذات ونتج عنه الشك . الوسوسة . الظلم . السيادية .اللواط الذكر . الماسوشية أما الأسلوب المتسامح فيؤدي إلي ظهور المبدعين الخلاقين.

. المرحلة القضيبية Phallic Stage:

من 3 إلي 5 سنوات ومصدر اللذة هو الأعضاء التناسلية والخيال المصاحب للعبث بها مع الاهتمام بالوالد من النوع المخالف لجنس الطفل وهي مرحلة هامة جداً عند فرويد ويظهر فيها مجموعة من الصراعات والعقد مثل:

عقدة أوديب:

أوديب ملك طيبة تزوج أمه جوكاست بعد أن قتل أبيه وهرب من طيبة.

ويمثل ذلك عند فرويد رغبة الطفل الذكر في أمه وحبه لها وغيرته من أبيه المنافس في حب الأم ورغبته في التخلص منه ولكنه يكبت كل ذلك لشعوره بعذاب الضمير وخوفه من أن ينفذ والده تهديده له بالخصاء ويتوحد بأبيه وبهذا يحل الموقف الأوديبي.

عقدة إلكترا:

وهي مسرحية لسوفوكليس حيث تدفع إلكترا أخاها لقتل أمهما جزاءاً لها علي قتل والدهما.

ويمثل ذلك عند فرويد رغبة الفتاة في حب والدها الذي يمثل العضو الثمين الذي تحسده عليه وشعورها بالظلم الذي وقع عليها من الأم التي حرمتها من هذا العضو الثمين وتترك الفتاه هذه المرحلة ولديها صراع (الإقدام . الإحجام) بين حب وكراهية كلاً من الأم والأب وينتهي هذا الصراع عندما تنجب ولداً ذكراً وفي حالة مرور هذه المرحلة بسلام يتحرر الطفل من والديه ويتعرف على دوره الجنسي ويتقبل ذاته وينمو ضميره.

أما إذا حدث العكس فتظهر لديه أحاسيس الدونية والقلق والهستريا العصبية والجنسية المثلية في حالة إذا انقلبت التوحدات السوية فيتوحد الولد الذكر مع أمه والعكس بالنسبة للفتاة.

. مرحلة الكمون Latency Stage:

من 6 إلي 12 سنة وهي فترة تتميز بكبت النزاعات الغريزية وإعلاء الطاقة الغريزية وتوجيهها نحو الأنشطة الاجتماعية ولقد اهملها فرويد لعدم وجود منطقة شبقية تحتاج إشباع.

. المرحلة التناسلية Genital:

تبدأ من البلوغ وتنتهي قبل الشيخوخة يتحول فيها الفرد من الأنانية للإيثار والتطبيع الاجتماعي الواقعي والاهتمامات الجنسية الغيرية ومصدر السعادة فيها هو الارتباط بالجنس الآخر والاستقرار وتكوين الأسرة وهي مرحلة تبني علي ما قبلها من المراحل.

أهم مبادئ نظرية فرويد:

(أ) مبدأ الثبات Prenciple of Constancy:

وهو نزوع الجهاز النفسي للاحتفاظ بكمية الإثارة التي يحتويها في أدني مستوي ممكن أو الحفاظ علي ثباتها عن طريق تصريف الطاقة الحاضرة فعلياً أو تجنب ما يمكن أن يزيد كمية الإثارة، وهذه العملية يقوم بها الهو حتي يشعر الكائن الحي بالراحة.

(ب) مبدأ اللذة Pleasure Prenciple:

وهو من المبادئ التي تحكم النشاط العقلي عند فرويد فالنشاط في مجملة يهدف غلي تجنب الانزعاج والحصول علي اللذة التي هي اقتصادية في مقابل الانزعاج الذي يسبب زيادة في الإثارة.

(ج) مبدأ الواقع Prenciple of Reality:

من المبادئ التي تحكم النشاط العقلي وهو تعديل لمبدأ اللذة ويفسر عمليات الإشباع التي تتم من خلال التفافات وتأجيل وفقاً لشروط العالم الخارجي التي يفرضها علي الأنا.

(د) مبدأ إجبار التكرار Repetition Compulsion:

تتم فيه تكرار الخبرات القوية التي تستمد وقائعها النفسية من الخبرات الطفولية الصادمة والحوادث المؤلمة والتحويل أياً كانت نتيجة هذه الخبرات والغرض من التكرار هو السيطرة علي الموقف الذي لم يسيطر عليه ويحدث نتيجة ضعف الأنا ويمكن رد بعض ظواهره لمبدأ اللذة أو الحاجة للتكرار ذاته ويتخذ نفس سمات العمليات الأولية اللاشعورية الصادرة من مبدأ اللذة.

(ه) مبدأ الثنائية (الازدواجية):

يفترض فرويد أن هناك قوتين متعارضتين دائما في الحياة، والإنسان يحاول جاهداً أن يوازن بين هاتين القوتين (اللذة . والواقع) وعلي نحو ما يحدث في مجال الشحنات الكهربائية الموجبة والسالبة نجد أننا حينما نقترب من القطب الموجب بشكل كبير فإننا نحمل شحنته وبالتالي تدفعنا قوة الطرد للقطب الآخر ثم يحدث نفس الشئ مع القطب الآخر فنرتد إلي القطب الأول وهنا نحاول جاهدين أن نوازن بين هذين القطبين، ولكنها ليست عملية سهلة حيث أن الإنسان لديه الغرائز التي تدفعه لإشباع رغباته كذلك فهو محاط بجميع القيود والتقاليد والأعراف الاجتماعية التي تحدد سلوكه وكيفية إشباع رغباته.

أنماط الشخصية في نظرية التحليل النفسي لفرويد:

يقسم فرويد أنماط الشخصية إلي ستة أنماط:

- الشهواني.
- النرجسي.
- الموسوس.
- الشهواني.
- الموسوس.
- النرجسي.
- الموسوس.
- النرجسي.
- الشهواني.
- **النمط الشهواني:**

يتلخص اهتمامات هذا الشخص في أنه يحب ويحب، وهذا الشخص يعيش هاجس الخوف من فقدان محبة الآخرين له مما يجعل هذا الإنسان فرداً متردداً خائفاً من اتخاذ القرار خاضعاً للأشخاص الذين يحبهم.

ومما تقدم نستنتج خضوع صاحب هذا النمط إلي الهو ورغباته ونزواته.

- النمط النرجسي:

هذا النمط من الأفراد يرفض الخضوع للآخرين وتسيطر الأنا علي تصرفاته بحيث لا يعاني أي صراع بين أناه وأناه الأعلى، والهاجس الوحيد للنرجسي هو الحفاظ علي أناه ولهذا فهو خاضع أو تابع للآخرين.

والحقيقة أن للنرجسي ميولاً عدوانية متطورة ممكن أن تنفجر في حالة إحساسه بأي خطر أو خسارة تهدد أناه وهو عن طريق هذه العدوانية الشخصية يحسن فرص نفسه علي الآخرين كما يحسن قيادتهم وأحيانا مساعدتهم وكثيرا ما نجد الحالات التي تتوجه فيها النرجسية نحو الإنجازات الثقافية والشعر منها بشكل خاص.

- **النمط الموسوس:**

يتميز هذا النمط بسيطرة الأنا الأعلي وهذا الشخص لا يخشي فقدانه محبة الآخرين له مثل الشهواني ولكنه يخسي فقدان ضميره . قيمه . أخلاقه.

وعادة ما يحدث صراع عنيف بين الأنا والأنا الأعلي.

- **النمط الشهواني الموسوس:**

وهذا الشخص يخوض نوعين من الصراع في آن واحد فهو يعاني صراع ناجما من تعارض أناه الأعلي مع أناه وصراع آخر بين الهو والأنا وهكذا نلاحظ أن الأنا في هذه الحالة يكون معرض لأقصي ضغوط.

- **النمط النرجسي الموسوس:**

يتميز هذا الشخص بنشاطه وقدرته علي حماية أناه من تأثير الأنا الأعلي بسبب نرجسيته ولدي هذا الشخص ميل لإخضاع الآخرين.

- النمط النرجسي الشهواني:

وهذا النمط يجمع خصائص كل من النرجسي والشهواني بحيث يحد كل من السلوكين الآخر وهذا النمط هو الأكثر انتشارا.

تطبيق فنيات التحليل النفسي:

يعتمد التحليل النفسي علي عدة فنيات في دراسة المنظمات النفسية.

- **عملية التداعي الحر الطليق:**

وأساس هذه الطريقة هو استبعاد الأهداف التصورية الشعورية للأنا فإذا ما استبعدت الأهداف التصورية الانتقائية للأنا فإن ما يعبر عنه تحدده بالأحري توترات ومحفزات داخل الفرد تتحين الفرصة للتعبير عن نفسها وفي أثناء عملية التداعي الحر تحل الرقابة اللاشعورية محل الرقابة الشعورية والنوع الأول من الرقابة هو الهدف الرئيسي لملاحظة التحليل ويعتبر الاختيار والتسلسل

اللاشعوري لمواضيع الحديث جزء من المادة التحليلية كما يضاف إلي التعبير اللفظي الإيماءات الانفعالية والإشارات والتأثيرات الحشوية والأعمال التي تنجز قبل الجلسة وأثنائها وبعدها وهذا ما يدعونا إلي أن مادة التحليل النفسي هي سلوك المحلل ويعتبر ما يدور داخل الجلسة أهم قسم من السلوك.

- **تفسير الأحلام:**

الحلم نافذة تطل علي أعماق النفس ويترامي البصر منها إلي أفاق تصل إلي طفولة الإنسان بل إلي فجر الإنسانية فضلاً عن أنها تجمع في أفق واحد بين العقل والجنون.

ومن حيث أن الحلم خبرة من خبرات الإنسان الصحيح العقل ولكن طبيعتة الهلوسية لا تختلف عن الجنون.

ويقول فرويد إن ".... الحلم مرض نفسي قصير يستغرق الليل والمرض النفسي حلم طويل يستغرق الليل والنهار".

إن الأحلام ضرب من اللغة الرمزية وهناك نوعان منهما النوع الأول رمزية فردية تتصل بخبرات الحالة ويكشف التحليل النفسي عن معانيها في يسر.

والنوع الثاني فهو رموز مشتركة بين أفراد الجنس البشري بأسره ونجد آثارها في الأساطير والأمثال لدي جميع الشعوب من قديم الزمان.

- **تفسير الرموز:**

ترجمة الرموز هي أقصر طريقة نستطيع من خلالها أن نغوص في أعمق طبقات اللاشعور وبترجمة الرموز نستطيع أن نكشف عن مضمونات الهو ومن الرموز الهفوات، والهفوات هي طفحات اللاشعور وتظهر في زلات اللسان والنسيان وأخطاء الكتابة والقراءة والسمع.

- **التحويل والتحويل المضاد:**

التحويل هو ظاهرة موجدة في التحليل النفسي حيث يجد المرء نفسه مضطراً في علاقته بالمحلل بسبب انفعالات عارضة مثل الحب . الكره . الغيرة . الحصر وهي انفعالات لا يوجد ما يبررها من وقائع الموقف الفعلي والمريض نفسه يقاوم هذه الانفعالات وترجع هذه الانفعالات في أصلها إلي كوكبة وجدانية قديمة من قبل عقد أوديب وعقدة إخصاء وعقد أخري ومشاعر كامنة ومجهولة منذ الطفولة.

- **التحويل المضاد:**

إن المحلل النفسي الذي يقوم بالتحليل نفس بشرية أخري يتعرض بدوره لبعض التغيرات التي تحدث داخل نفسه التي لا يستشعرها وتظهر هذه التغيرات في أشياء عديدة ومنها علي سبيل المثال (سؤال الفاحصين . أسئلة موحية للمريض) بالرغم من أنهم يدرسون في علم النفس الإكلينيكي خطأ سؤال العميل هذه الأسئلة.

ونجد أن هذه العملية ليست مسألة نقص في فهم الموقف الاختباري ولكنه نقص في الفهم الوجداني لهذا الموقف وقد يتصور البعض أن هذا عيب في التكتيك الإسقاطي ولكن في الحقيقة أن الموضوع الحقيقي لعلم النفس هو العلاقة بين الأنا والآخر فالموضوعية الحقة هي الفطنة إلي الحتمية الذاتية.

- **التأويــل:**

وهو استنباط ما يعينه المريض بالفعل من تلميحات لأشياء أخري وإخبار المريض بها، ويعني التأويل إعادة شئ لا شعوري لشئ شعوري والتأويل لا يمكن أن يكون فعالاً إلا إذا قدم في اللحظة التي يكون فيها القول والمقصود أقرب ما يكون حتي يدركها المريض.

معايير صحة التأويلات:

إن التأويل الصحيح يحدث تغيراً دينامياً ويبتدي في مستدعيات المريض اللاحقة وسلوكه الكلي.

البحوث المميزة وطرق البحث:

قامت نظرية فرويد علي التحليل المكثف للبيانات التي جمعها من أقوال المرضى وأفعالهم، **واستخدم فرويد في ذلك طرق هي:**

(أ) التداعي الحر Free Association:

وهو تطور لحديث الشفاء الذي استخدمه برويز في العلاج ويختلف عنه في أن فرويد ترك الحرية للمريض في أن يطلق خواطره علي سجيتها لا يحجز منها شاردة مهما بدت غير معقولة أو تافهة بينما قصر برويز الحديث علي الأعراض المرضية ومنشأها وعلي المحلل عدم التعليق علي حديث المريض أو مقاطعته وإنما تشجيعه علي الاستمرار حين يتوقف أو يبدو معاقاً، **ويقوم التعبير الحر علي ثلاث مسلمات هي:**

. كل ما نقوله أو نفعله له معني ويتصل بكل ما سبق أن قلناه أو فعلناه.

. من خلال التعبير الحر نستطيع استدعاء المادة اللاشعورية بحيث نعيها فنقبل أو نرفض.

. المادة اللاشعورية المكبوتة تؤثر في سلوكنا دون أن ندري وعملية التداعي الحر ترتبط بما حاضرفي اللاشعور في ذات اللحظة بالرغم من محاولة المريض فإنه سوف يعرض موضوعات ويتجنب أو يشوه موضوعات أخري إلا أنه يمكن فهم الصراعات العقلية والانفعالية للشخص من خلال سلاسل التداعي الحر للتفكير.

ويمكن للمحلل تنشيط عمليات التداعي الحر عن طريق إلقاء التعليمات لأن ما لا يقال قد يكون أكثر أهمية مما يقال وتميل الأفكار المتتالية للترابط ويتم ذلك بصورة لا شعورية.

(ب) تحليل الأحلام Dreams Interpretaion:

الأحلام من وجهة نظر فرويد وسيلة لخفض التوتر وحل المشكلة وعن طريقه يتم تحقيق رغبات بصورة مباشرة أو بطريقة رمزية ويظهر الحلم في صورة رموز عندما يكون تعبيراً عن رغبات غير مشروعة مكبوتة في اللاشعور ولذلك فليس الهدف هو تفسير الأحلام الظاهرة إنما الهدف هو الوصول للمحتوي الكامن وراء هذه الأحلام التي تتداخل مع المثيرات الجسمية وآثار اليوم السابق مكونه للحلم الظاهر ولقد أطلق فرويد علي حيل الأنا في تحريف الحلم آلية إخراج الحلم **ويشمل:**

- **التكثيف Condensation :**

ويقصد به عدم التناسب بين محتوي الحلم وأفكار الحلم مما يدل علي أن المادة النفسية للحلم أجريت لها عملية تكثيف شديدة فيكون الحلم الظاهر ترجمة مختصرة للحلم الكامن.

- **الإزاحة Dsiplacement:**

وهي عملية تقوم بها الأنا أثناء النوم **وتتخذ شكلين هما:**

. استبدال عنصر من عناصر الحلم بشئ بعيد تماماً عنه.

. نقل التأكيد من عنصر مهم لآخر أقل أهمية.

- **قابلية التصوير Consideration of Representability:**

ويقصد به تحويل أفكار الحلم لصور عيانية محسوسة.

- **الصياغة الثانوية:**

ويقصد بها جميع نتائج إخراج الحلم وترتيبها بحيث يصعب فهمها بعد أن تستكمل الثغرات ليخرج الحلم في صورته النهائية.

وأكد فرويد علي أن الحلم يظهر نتيجة ضعف رقابة الأنا مما يتيح الفرصة للرغبات اللاشعورية في التعبير عن نفسها في حدود وكذلك أن تداعيات الفرد عن أحلامه أكثر أهمية من أي قاعدة وحتي التعميمات التي وضعها لأنواع معينة من الأحلام.

الحالات التي درسها فرويد:

إن القدر الضخم من المادة الأولية التي صاغ منها فرويد نظريته في الشخصية لت يعرف أبداً، فتاريخ الحالات القليلة التي اختار فرويد نشرها تمثل فحسب جزءاً ضئيلاً من الحالات التي عالجها كما أن الأخلاقيات المهنية بخاصة قيدت من عرض فرويد لحالاته علي العالم طالما كان خطرتخمين هوية مرضاه قائما من جانب العامة المتطلعين.

بالإضافة إلي تاريخ الحالات التي ظهرت في كتاب "دراسات في الهستريا" الذي كتبه بالاشتراك مع برويز قبل أن تأخذ نظرية التحليل النفسي شكلها المحدد في ذهن فرويد.

حالة دورا:

يقول فرويد إن نشر حالة دورا كان بهدف إبراز كيف أن تحليل الأحلام يمكن المرء من استخراج الجوانب الخفية والمكبوتة من العقل الإنساني والتوضيح كيف أن الأعراض الهستيرية تحركها الدفعة الجنسية.

حالة هانز: وقد أتاحت حالة هانز الصغير الفرصة الأولي للتحقق من صدق نظريتة في الجنسية الطفلية . التي صاغها علي أساس من ذكريات الراشدين . بملاحطات تجري علي طفل صغير، وكان هانز يخاف من أن جوادا سوف يعضه إذا غامر وخرج إلي الشارع، وقد استطاع فرويد بواسطة المذكرات الدقيقة التي دونها والد الصبي والتي عرض فرويد الكثير منها كما هي لفظياً في العرض المنشور للحالة، واستطاع

فرويد بها أن يبين أن هذه المخافة. أو الفوبيا . كانت تعبيراً عن أهم عقدتين جنسيتين في الطفولة المبكرة، عقدة أوديب وعقدة الخصاء، وتمثل لنا حالة هانز الصغير نموذجاً يؤيد نظرية الجنسية الطفلية كما قدمها فرويد عام (1905).

حالة الرجل الفأر:

أما حالة الرجل الفأر Rat Man الذي كان يعاني من حواز يلازم مؤداه أن صديقته ووالده سوف يعاقب كل منهما بأن يوثق بمؤخرتيهما وعاء ملئ بالفئران الجائعة الشرهة، وقد ربط فرويد بين ما تتضمنه هذه الحالة من ديناميات وصلات فكرية عصابية حوازية، بالرغم من أن العرض جزئي فإن الحالة تصور بوضوح كيف واصل فرويد حله للتناقضات الظاهرية والتحريفات والسخفات التي تسم شخصية مريضة تنعدم بين جوانبها الصلات، فحولها إلي نمط منطقي ملتئم.

حالة شربير:

وقد كانت هواجس شربير تتكون من اعتقاده أنه مخلص وأنه قد تحول إلي امرأة، وقد بين فرويد في تحليل متشابك لهذين الهاجسين أنهما مرتبطان، وأن القوة الدافعة لكليهما، وللجوانب الأخري كذلك من الحالة هي الجنسية المثلية الكامنة، وقد قدم فرويد في دراسة هذه الحالة فرضه الذائع عن العلاقة العلية بين الجنسية المثلية وجنون البارانويا.

حالة الرجل الذئب:

أما حالة "الرجل الذئب" فهي عرض لعصاب طفلي أخرج إلي السطح أثناء تحليل شاب صغير السن، ووضح ارتباطه الدينامي بالحالة الراهنة للمريض، وقد لاحظ فرويد أن تحليل خبرة وقعت منذ قرابة خمسة عشر عاما مضت لها فائدتها، كما أن لها ضررها عندما تقارن بتحليل واقعة بعد حدوثها بفترة قصيرة، والعيب الأساسي هو عدم إمكانية الثقة بالذاكرة بالنسبة للخبرات المبكرة، ولكن من ناحية أخرى، إذا حاول المرء أن يحلل طفلاً صغيراً للغاية فإن مساوئ ذلك أنه لن يستطيع التعبير عن نفسه . أي الطفل . لغويا، والرجل الذئب هو الراشد المناظر لهانز.

تحليل فرويد لذاته تحليلاً نفسياً:

إن المادة التي انتزعها فرويد من لا شعوره هو نفسه، وقد شكلت مصدراً هاماً من المادة التجريبية عند فرويد، وكما يقول أرنست جونز (1953): بدأ فرويد تحليله الذاتي في صيف عام (1897) بتحليل أحد أحلامه، ومن هذا الفحص المنقب لذاته تأكدت لدى فرويد بالقدر الذي يرضيه نظرية الأحلام ونظرية الجنسية الطفلية، ولقد وجد في شخصيته هو ذاته ما لاحظه في مرضاه من الصراعات والتناقضات واللامنطق، وربما كانت خبرته هو ذاته التي أقنعته أكثر من أي شئ آخر بصحة أفكاره في أساسها والحقيقة أن فرويد كان عازفا عن تقبل صدق أي فرض حتي يختبر صدقه في نفسه ذاتياً، وقد واصل فرويد تحليله الذاتي لنفسه طول حياته فكان يحتفظ بنصف الساعة الأخير من كل يوم لهذا النشاط.

الاتجاهات الجديدة في كتابات التحليل النفسي التي ظهرت خلال السنوات العشرين الأخيرة:

وسنناقش خمسة من هذه الاتجاهات، **وهي كما يلي:**

- **تطوير الأنا وتنميقه، بوصفه جهازاً للشخصية علي قدر ما من الاستقلال الذاتي:**

لا يخرج الأنا هواً موروثاً وإنما لكل من النظامين أصله في الاستعدادات الموروثة، كما أن لكل منها مسار نموه المستقل الخاص به، بالإضافة إلي ذلك فإنهم يؤكدون أن عمليات الأنا تعمل بواسطة طاقة جنسية وعدوانية محايدة، وأن أهداف هذه العمليات يمكن أن تكون مستقلة عن الأهداف الغريزية الخاصة، ومن هذه الفروض خرجت إلي الوجود (سيكولوجية الأنا) الجديدة، وهي سيكولوجية يمثل فيها الأنا كنظام عقلي(منطقي) مسئول عن الإنجازات العقلية والاجتماعية، نظام لا يعتمد أداؤه لوظائفه، اعتماداً كلياً علي رغبات الهو، إن له مصادر طاقاته الخاصة به، ودوافعه واهتماماته الخاصة وأهدافه الخاصة، إن سيكولوجية للأنا كهذه، يبدو أنها تشكل خروجاً جذرياً علي تقليد التحليل النفسي.

- **تزايد التأكيد علي المحتمات غير الغريزية للشخصية:**

ويشير مختلف نقاد التحليل النفسي مرة تلو الأخرى إلي أن فرويد أعطى الوراثة والنضج وزناً أكثر مما يجب، ووزنا أقل مما يجب للسمات الشخصية المكتسبة اجتماعياً، ونتيجة ذلك، ظهور ميل ملحوظ بين المنظرين الحاليين المنتمين إلي تقاليد التحليل النفسي إلي الإقلال من دور الغرائز، وإبراز المتغيرات السيكولوجية والاجتماعية التي تعتقد أنها تشكل الشخصية.

- **دراسات الملاحظة للأطفال والرضع:**

وقد أجرى عدد كبير من الدراسات الارتقائية في السنوات الأخيرة بواسطة باحثين مدربين في التحليل النفسي، وقد ورد الكثير منها في الأعداد الثانوية لسلسة الدراسة التحليلية النفسية للطفل.

- **الاختبار التجريبي لفروض التحليل النفسي:**

ويرتبط بالاهتمام بالملاحظات المباشرة للأطفال أثناء نموهم، والاستخدام المتزايد لمناهج أخرى غير تحليلة لاختبار الفروض المستمدة من التحليل النفسي، وتعكس هذه النزعة اتجاه بعض المحللين النفسيين وكثيرين من الأخصائيين النفسيين نحو وجوب عدم اعتماد التحليل النفسي لتحقيق فروضه علي المادة المستخلصة من المرضي الذين يعالجون فقط بل عليه أن يختبر هذه الفروض في المعمل وفي مواقف أخري يمكن فيها التحكم في المتغيرات والسيطرة عليها، وقد قام سيزر(1943 ، 1944)، وهيلجارد (1952)، وماسرمان (1952)، وكيوبي (1952)، وبلوم (1953) بمسح للدراسات التجريبية التي تدين بوجودها سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة لتأثير نظرية التحليل النفسي، وقد استخدمت في هذه الدراسات الجيوانات كما استخدم البشر.

- **تزايد الالتقاء بين التحليل النفسي وعلم النفس:**

وكما لاحظنا فيما سبق: أن التحليل النفسي كنظرية سيكولوجية لها قوامها، وقد تطورت بمعزل عن الخطوط الرئيسية لعلم النفس العام، والحقيقة أنه كان هناك ميل واضح للنظر إلي التحليل النفسي وعلم النفس بوصفهما علمين منفصلين وهو أمر يسبب الخلط للشخص العادي إذ أنه لا يستطيع أن يفهم بسهولة طبيعة الاختلاف بينهما، إلا أن هذه الطريقة في التفكير أصبحت أقل شيوعاً في السنوات الأخيرة، فالميل الراهن هو اعتبار التحليل النفسي جزءاً من علم النفس شأنه في

ذلك شأن أي نظرية في السلوك، وهذا لا يعني أن جميع الأخصائيين النفسيين أو غالبيتهم قد اقتنعوا بصدق نظرية التحليل النفسي أو بفائدتها والحقيقة أن كثيرين منهم يرفضونها إلا أنهم لم يعودوا ينظرون إليها بوصفها نظرية غريبة علي علم النفس فيرفضونها علي هذا الأساس، ولقد كان فرويد بالطبع يطابق بين التحليل النفسي وعلم النفس ولم يحل بخاطره في وقت ما أنه يخلق فرعاً منافساً من فروع المعرفة.

إن الالتقاء المتزايد بين التحليل النفسي وعلم النفس قد مهد له عدد من العوامل وقد أسهم علماء مرموقون من المجالين لهم رأيهم المهني في صياغة وإقامة مزيد من الوحدة في وجهة النظر.

المكانة الراهنة والتقويم:

. بني فرويد نظريته علي المرضى، وفي الواقع فإنه لا يمكن اعتبار مرضاه عينة حيث من الصعب التعميم عليها.

. لم يدرك أن الأنا له مصادره الخاصة من الطاقة النفسية وليس مجرد معتمد علي الهو في هذا الجانب، حيث تكون له ميوله وأهدافه ودوافعه وطاقته المستقلة عن تلك الخاصة بالهو.

. أخفق في إدراك أن ما وجد في مرضاه إنما كان مرتبطاً بوقت معين ومكان معين، وقد عمم فرويد من مجتمع فيينا في القرن التاسع عشر إلي كل البشر دون إدراك أهمية الفروق الحضارية في النمو الإنساني.

. النظرة الجبرية للسلوك البشري، وكذلك النظرة التشاؤمية إلي أن الإنسان توجهه غريزتان (الجنس والعدوان).

. اشتملت علي بعض المفاهيم الغيبية التي يمكن إخضاعها للبحث التجريبي ومن أمثلة ذلك مفهوم "الليبيدو".

. أعطي فرويد معني جنسياً لكل تطور بيولوجي علماً بأن بعض العوامل البيولوجية مع ضرورتها كعناصر عامة في النمو فليس من الضروري أن تكون لها معني جنسي،

. هذه النظرية تعزو التطور الجنسي إلي تطور بيولوجي بينما تعزي بعض هذه التطورات إلي أثر الثقافة.

. أعطي فرويد الوراثة والنضج وزناً أكثر مما يجب، ووزناً أقل مما يجب لسمات الشخصية المكتسبة اجتماعياً.

. لم يسجل فرويد لفظياً ما يقوله هو والمرضى وما يفعلونه في ساعة العلاج وإنما كان يسجلها بعد ذلك بساعات عديدة، ومن المستحيل أن نقرر مبلغ إمكان الثقة في عكس هذه المذكرات للوقائع كما حدثت فعلاً، إلا أن الحكم بناء علي تجارب الشهادة يجعلنا نقول أنه ليس من غير المحتمل أن تزحف التحريفات والحذف بمختلف أنواعهما إلي السجل.

. تتميز النظرية الفرويدية بقصور واضح في قدرتها علي تقديم قواعد علاقية يمكن الوصول بها إلي أي توقعات محددة لما سوف يحدث إذا ما وقعت أحداث معينة.

. طور فرويد لطريقة التداعي الطليق، ويعتبر أن هذا الجانب من أهم انجازات فرويد.

. لقد كان فرويد أول من وجه النظر إلي حقيقة العلاقة بين التنظيم الشخصي للكبير وبين تربيته وطريقة معاملته في الطفولة.

. إنها محاولة لتصوير الشخص المكتمل الحي الذي يعيش جزئياً في عالم الواقع وجزئياً من عالم الوهم تحاصره الصراعات والتناقضات الداخلية، وبرغم هذا فهو قادر علي التفكير والعمل العقلي، وتحركه قوى لا يعرف عنها إلا القليل وطموح لا طاقة له علي بلوغه، أناً تختلط الأمور عليه وآناً آخر يصفو ذهنه ويتقاذفه الإحباط والإشباع، الأمل، اليأس، الأثرة والإيثار، أي أنه بإيجاز كائن بشري معقد.

نظرية دولارد وميللر

بناء الشخصية:

العادة:

هي وحدة بناء الشخصية وهي رابطة بين مثير واستجابة وهي تمثل ما هو ثابت أو مستقرنسبياً في الشخصية.

ونجد أن جوهر هذه النظرية يتعلق بتحديد الظروف التي تؤدي إلي تكوين العادات وإلي انحلالها أو إحلال أخرى محلها (استبدالها) والعادات متعلمة ومكتسبة وليست موروثة وعلي هذا فإن بناء الشخصية يمكن أن يتعدل أو يتغير.

ونجد أن مجموعة العادات والترتيب الذي تتخذه يتوقف علي الوقائع الفريدة التي يتعرض لها الفرد، ونجد أن هذه العادات مؤقتة، فعادات اليوم قد تتغير نتيجة لخبرات الغد، وقد اكتفى دولارد وميللر بتحديد القواعد التي تحكم تكون العادة ولم يحددا مجموعة من العادات التي تميز فرداً أو قد يشترك فيها مجموعة من الأفراد.

ونجد أن العادات ليست هي القطاع الدائم الوحيد من الشخصية حيث نجد أن هناك الدوافع الأولية الثانوية التي تمثل جزءاً من بناء الشخصية.

ديناميات الشخصية:

يهتم دولارد وميللر بالدافعية وكذلك أهتما بارتقاء الدوافع وتشكلها ولكن لم يهتما بالتصنيف وبدلاً من ذلك ركزا علي دوافع بارزة معينة وحاولا في تحليلها تصوير العملية العامة التي يمكن أن نتوقع فعاليتها بالنسبة لجميع الدوافع.

الباعث:

مثير قوي يدفع إلي أن يسلك ويستجيب بطريقة أو بأخرى حتى يخفض التوتر الناشئ عن إثارة الدافع.

ويشير دولارد وميللر إلي أن هناك عدد من الدوافع الفطرية أو الأولية والموروثة وهي تتصل علي الأغلب بالعمليات الفسيولوجية التي يؤدي إشباعها إلي المحافظة علي البقاء كالجوع والعطش والجنس وأهمية هذه الدوافع تتوقف علي درجة شدتها وعلي ما يتاح لها من غرض الإشباع، فإذا أتيح لدافع الجوع إشباع كلما اشتد لا يكون عاملاً مهما في سلوك صاحبه، وتستند عملية التعليم علي أساس تنمية الأساليب السلوكية التي تخفف حدة المثيرات الدافعة.

الباعث الثانوي:

خلال عملية النمو يكتسب الفرد السوي عدداً كبيراً من البواعث أو الدوافع الثانوية التي تؤدي إلي إثارة وتوجيه سلوكهن ويتك اكتساب تلك البواعث المتعلمة علي أساس من البواعث الأولية وتمثل تطوراًلها.

ويري دولارد وميللر أن الإنسان في حياة المدينة الحديثة لا يتوجه سلوكه بالبواعث الأولية بقدر ما يتوجه بالبواعث الثانوية فالإنسان لا ينتظر حتي تظهر العلامات الأولية لدفع الجوع (تقلصات المعدة وانخفاض نسبة السكر في الدم) وإنما يسعى للطعام استجابة للدوافع الثانوية مثل موعد الطعام ومكانه ورائحته.

ولكني نفهم اشتقاق الدوافع أو البواعث الثانوية من الأولية يجب أن نفهم عملية التعلم وهذا يقودنا إلي ارتقاء أو نمو الشخصية.

نمو الشخصية:

نجد أن كلاً من دولارد وميللر اهتما بنمو الإنسان من مرحلة الرضاعة حتى الإنسان الراشد ولذلك سوف نعرض معالجتها لهذه المشكلة بنظرة مختصرة للتجهيزات الفطرية لدى الرضيع، ثم مناقشته لعملية التعلم وتطبيقها على اكتساب البواعث وكذلك سوف نعرض لأهمية السياق الاجتماعي للسلوك وللمراحل الارتقائية ثم نعرض تطبيق تلك المفهومات على ظاهرتي الصراع والكبت.

التجهيزات الفطرية:

عندما يولد الفرد يكون مزوداً بقدر قليل من الأفعال المنعكسة النوعية وهي تعد في أغلبها استجابات منفصلة لمثير أو فئات من المثيرات ومن أمثلتها أن لمسة على خد الوليد تجعله يدير رأسه في اتجاه ذلك الخد، ويتكون من البواعث أو الدوافع الأولية عدداً من التنظيمات المتدرجة الفطرية للاستجابة بمعنى أن ترتيب مجموعة من الاستجابات ترتيباً خاصاً حسب درجة تدعيمها، فمثلاً أنه حين يتعرض الطفل لمثيرات ذات خطورة معينة فإنه يحاول الهروب أولاً من المثيرات قبل أن يصرخ.

ونجد أن هذه البواعث الأولية ترتبط عادة بعمليات فسيولوجية معروفة وهي مثل دوافع الجوع والعطش والألم.

وباستخدام هذه الإمكانيات المحددة ومبادئ التعلم يوضح لنا دولارد وميللر عدداً من الظاهرات الهامة في الشخصية من قبيل: كيف يوسع ويمدد الكائن الحي الاستجابات الأولية إلي مواقف جديدة؟ وكيف ينمي استجابات جديدة؟ وكيف يحذف استجابات قديمة؟ وكيف تشتق الدوافع الجديدة أو الثانوية من الدوافع القديمة؟ وكيف تحل التنظيمات الهرمية المتعلمة محل التنظيمات الهرمية الفكرية؟.

عملية التعلم:

يري دولارد وميللر أن هناك أربعة مفاهيم أساسية في عملية التعلم وهي الدافع . الدليل . الاستجابة. التدعيم أو المكافأة.

الدليل:

هو مثير يوجه الاستجابة التي يصدرها الكائن الحي، فالدافع يثير الفعل أو الاستجابة والدليل يحدد لها اتجاهها وهو يحدد متى تصدر الاستجابة وأين تصدر وأين تصدر وأي الاستجابات تصدر، والذي يجعل من المثير دليلاً اتصافه بصفة تجعله متميزاً عن غيره.

وقد يحدث هذا التمييز علي أساس صفة نوعية كأن يكون المثير سمعياً أو بصرياً، وقد يحدث هذا التمييز على أساس درجة هذه الصفة النوعية مثل شدة الصوت أو درجة اللون، وقد تتميز المثيرات على أساس أنماطها فمجموعة من الحروف بترتيب معين تكون كلمة فإذا اتخذت ترتيباً آخر تكون كلمة أخرى، وقد يتخذ المثير معنى الدافع إذا زادت شدته.

الاستجابة:

هي ما يتعلمه الفرد وما يمكن قياسه، والاستجابة من العوامل الهامة في التعلم، وذلك أنه قبل أن ترتبط استجابة معينة بدليل معين يجب أن تحدث الاستجابة أولاً، من هنا فإن إصدار الاستجابة المناسبة يعد مرحلة هامة في تعلم الكائن الحي، وفي أي موقف معين تكون هناك استجابات أكثر احتمالاً في ظهورها من غيرها، ويمكن تصنيف الاستجابات بالنسبة لاحتمال حدوثها عند ظهور الموقف لأول مرة، ويشار إلي ذلك بالمدرج الهرمي المبدئي للاستجابات، فإن كان ظهور هذا التنظيم سابقاً على أي تعلم فإنه يشار إليه بأنه مدرج هرمي فطري للاستجابات أما بعد أن يؤثر التعلم على سلوك الفرد في هذا الموقف، فإن الترتيب المستخرج يطلق عليه المدرج الهرمي الناتج، ويتوقف ميل الاستجابة في الظهور على مكان الاستجابة في التنظيم المتدرج أو ما يسمى باسم القوة النسبية للعادة.

التعزيز:

نجد أن التعزيز عند دولارد وميللر يحدث عندما يكون هناك خفض مقبول للمثير الباعث يتم وقت حدوث الاستجابة.

والتعزيز هو إيجاد رابطة بين مثير واستجابة لتقوية العلاقة بين المثير والاستجابة.

وتفترض وجهة النظر التي تبناها دولارد وميللر أن المكافأة أو التعزيز لا يمكن أن تحدث إلا حين يكون المثير الباعث فعالاً، بالإضافة إلي أن هناك دائماً تقليلاً أو خفضاً للمثير الباعث في عملية المكافأة، ويتضمن ذلك انه ما لم تتدخل بعض العوامل الخارجية لزيادة قوة المثير الباعث فإن المكافأة مستحيلة، ويدعم ذلك حقيقة أن الفرد لا يكرر نفس الاستجابات المكافأة إلي ما لا نهاية.

وقد تعزز استجابة معينة من خلال تقليل المثير الباعث الأولي كالجوع والعطش والآلام أو قد تعزز من خلال تقليل المثير الباعث الثانوي أو المكتسب كالقلق والخجل.

ويعتقد دولارد وميللر أن التعلم لا يتم إلا بتوافر شروط خفض الباعث.

التعميـم:

يتضمن هذا المفهوم أن العادات التي يتم تعلمها في موقف معين سوف تميل إلي الانتقال والتعميم في مواقف أخرى بقدر تشابه المواقف الجديدة مع الموقف الأصلي، فكلما ازداد تشابه الأدلة الأصلي قويت النزعة نحو التعميم في المواقف الجديدة، ويطلق علي هذا الاختلاف في النزعة إلي نقل الاستجابة المتعلمة إلي مواقف جديدة ومختلفة، ومصطلح مدرج التعميم بمعنى أن مواقف الاستثارة يمكن أن ترتب وفقاً لتشابهها، وكلما قوي الباعث المثير للاستجابة ازدادت النزعة نحو التعميم إلي أدلة جديدة، فمثلاً الشخص الشديد الجوع يجري لعابه عند رؤية موضوعات لا يمكن أن تثير إفراز اللعاب عادة.

ونجد أن جميع الاستجابات المتعلمة تعمم علي مثيرات أخرى، فإذا تعلم الطفل الخوف من الثعابين فإنه يحتمل ان يخاف علي الأقل في البداية من الحبال، ومع مزيد من الخبرة يتعلم الأسوياء أن يميزوا، والتمييز عكس التعميم، فالطفل يتعلم هكذا أن عليه أن يخاف من بعض التعابين دون الأخرى وألا يخاف من الحبال لأنها آمنة.

وهكذا نجد أن التعميم يؤدي إلي نزعة مبدئية لاستثارة الاستجابات المتعلمة بمدى واسع من المثيرات ولكن الخبرة تتيح للفرد أن يميز بالتالي فيستجيب للمثيرات استجابة انتقائية، وهذا يصدق علي الأسوياء أما العصابيين فإنهم كثيراً ما يفقدون القدرة علي التمييز وبالتالي يميلون إلي المبالغة في التعميم.

ويميز دولارد وميللر بين نوعين من التعميمات: التعميم الأولي والتعميم الثانوي، ويعتمد التعميم الأولي على التشابه الفيزيقي بين المثيرات فكلما ازداد التشابه بين المثيرين وتقاربا في الخصائص الفيزيقية ازداد احتمال إثارتها لنفس الاستجابة، والتعميم الأولي فطري محكوم بالجهاز الحسي للفرد، يقوم التعميم الثانوي على العناوين اللفظية والتسميات وليس على التشابه الفيزيقي بين المثيرات، وهكذا يستجيب بطريقة واحدة لمن يسموا بالأعداء، والتعميم الثانوي هو ما يطلق عليه دولارد وميللر.

المكافئ المكتسب أو المتعلم، ويمكن للتعميم الثانوي أن يؤثر تأثيراُ مضاداً للتعميم الأولي وذلك بتسمية واقعة طيبة وأخرى سيئة على الرغم من تشابهها فيزيقياً،

البواعث الثانوية وعملية التعلم:

نجد أن هناك عدد من البواعث الأولية التي يولد الطفل بقدر محدود منها ثم يكتسب مجموعة من البواعث الثانوية من خلال النمو والخبرة وهذه تسمى بالبواعث الثانوية، سوف نستعرض الآن ارتقاء هذه البواعث المكتسبة في ضوء مفهومات التعلم ويتركز تناولنا حول تعلم الخوف وذلك لأن هذا الباعث هو الأكثر اكتمالاً من حيث فهمه عن الكثير من البواعث الثانوية الأخرى.

ويعتبر الخوف باعثاً لأنه يدفع الكائن إلي السلوك كما أن خفض الخوف يكون بمثابة المكافأة أو التعزيز.

ولكي نوضح كيف أصبح الخوف دافعاً ثانوياُ مكتسباُ سوف نستعرض التجربة التي أجراها ميللر ودولارد لتحليل دافع الخوف.

التجربــة: قام "ميللر" بوضع الفئران في صندوق ذي حجرتين، الأولي بيضاء مزودة بشبكة كهربائية في الأرضية والأخرى سوداء، ولم تكن الفئران تبالي بهذا الإجراء ولكن سرعان ما تبدلت بشكل واضح بعد أن تلقت الفئران عشر صدمات كهربائية في الحجرة البيضاء وفي كل مرة تلقت فيها الفئران الصدمة كان يسمح لها بالهروب في الحجرة السوداء بعد ذلك كانت الفئران تجري بسرعة إلي الحجرة السوداء بمجرد وضعها في الحجرة البيضاء وبدون أن تتلقى أي صدمة، عندئذ أغلق "ميللر" الباب الذي يفصل بين الحجرتين وأصبح في مقدور الفئران أن تهرب من الحجرة البيضاء فقط إذا تعلمت أن تدير طنبوراً يفتح هذا الباب، وعندما أعيد وضع الفئران في الحجرة البيضاء ظهرت عليها الأعراض العادية للخوف الشديد أو القلق وهب التبول والتبرز والنبش وفي النهاية أخذت الفئران تتحرك في المكان وبالصدفة أدارت الطنبور فانفتح الباب وعندما حدث ذلك جرت إلي الحجرة السوداء.

بمجرد أن أتقنت الفئران عملية إدارة الطنبور وأوقف ميللر عمله وبدلاً من ذلك أحل عملية أخرى لفتح الباب وهي الضغط علي رافعة وفي البداية أظهرت الفئران نفس أعراض الخوف الشديد كما حدث سابقاً، ولكن في نهاية الأمر توقفت عن إدارة الطنبور وتعلمت الضغط علي الرافعة، كل هذا السلوك كان مدفوعاً بالخوف الذي اكتسب في الأصل كاستجابة للمؤشرات الصادرة من الحجرة البيضاء، توضح هذه التجربة كيف تعلم الفئران أن يكتسبوا الخوف كدافع في حد ذاته، فلقد تعلموا الخوف عن طريق اقترانه بالألم، وممكن أن نعتبر الخوف دافعاً وذلك لأنه أصبح يدفع إلي تعلم استجابات جديدة.

ويعتقد دولارد وميللر أن المخاوف المرضية والقلق واستجابات الخوف غير العقلانية الأخرى تنتج عن خبرات مشابهة على المستوى الإنساني فقد يبدو أن سلوك معين غير عقلاني للملاحظة لأن تاريخ نموه ليس معروفاً، والإنسان يتعلم مخاوفه وقلقه علي نفس النحو الذي تعلم به الفأر الخوف في التجربة السابقة.

فالطفل الصغير الذي تقترن عنده الوحدة بآلام الجوع ويتكرر هذا الموقف بالنسبة له قد يتعلم الخوف من الوحدة، وكذلك من الممكن أن يؤدي العقاب الجسمي العنيف للسلوك الشبقي في الطفولة المبكرة بالفرد حين يكبر إلي الانحراف في الأنشطة الجنسية وما يرتبط بها من أفكار، وذلك لأن التفكير فيها أو النزوع إلي القيام بها يثير الخوف الذي ينقص نتيجة للهروب او التجنب، ونجد أن العمل الرئيسي للعلاج النفسي عند دولارد وميللر هو أن يوفر للمريض الموقف الذي يشجعه عن أن يخبر الأفكار المهددة دون أن يتعرض للعقاب وبهذه الطريقة تتضاءل هذه الأفكار وتبطل.

وهذا يشبه إلي حد كبير طريقة التداعي الطليق عند فرويد.

العمليات العقلية العليا:

تتكون تفاعلات الفرد مع بيئته من **نوعين هما:**

. التفاعلات المباشرة التي يوجهها دليل منفرد أو موقف أو موقف دليل منفرد.

. التفاعلات التي تتوسطها عمليات داخلية وهذا النوع هو ما يعنينا هنا أي التي تتوسطهما الاستجابات المصدرة للأدلة، والتي تكون وظيفتها الرئيسية فتح الطريق أمام استجابة أخرى، ونجد أن أغلب الاستجابات المصدرة للأدلة تتضمن لغة برغم أنها ليست بالضرورة لغة منطوقة.

ومن أهم الاستجابات المصدرة للأدلة عنونة أو تسمية الوقائع والخبرات.

ومن أهم وظائف الاستجابات التي تنتج أدلة وتؤدي إلي استجابات أخرى وظيفتان هما التعميم والتمييز، ذلك لأننا حين نعنون واقعتين أو حدثين بعنوان واحد فإننا نزيد من درجة التعميم بالنسبة لهذين الوقفين أو الدليلين، ومن ناحية أخرى إذا عنونا موقفين متشابهين باعتبارهما متمايزان ومختلفان كأن نقول غداً عشاء مع الأسرة وبعد غد عشاء مع الأسرة وبعد غد عشاء مع مدير الجامعة وضيوفها فإن سلوكنا قد يختلف في المناسبتين.

والاستدلال هو استبدال للاستجابات الداخلية المصدرة للأدلة بأفعال ظاهرة، وهذا الأسلوب أكثر كفاءة وفعالية في معالجة المسائل وحلها بالمحاولة والخطأ الظاهرين، إن الاستدلال يقتصر عمله على الاختيار من بدائل لأنه يمكننا من اختبارها عقلياً دون تجريبها فعلياً.

والاستدلال يتيح إمكان إبدال الاستجابات الاستباقية التي قد تكون أكثر فعالية من أي بدائل استجابات ظاهرة، ومتاحة أصلاً من خلال استخدام الاستجابات المصدرة للأدلة (الأفكار) البدء بموقف الهدف ثم التراجع حتى الوصول إلي التعرف على الاستجابة الوظيفية الصحيحة.

وتتأثر القدرة على استخدام اللغة وغيرها في الاستجابات المصدرة للأدلة بالسياق الاجتماعي الذي ينشأ فيه الفرد.

ويؤكد دولارد وميللر علي الأهمية العظمى للغة ولذلك يجب تدريب الطفل على التنبيه إلي الأدلة اللفظية فالاستجابة لها ثم إصدارها في النهاية، ومن المحتمل أن استخدام الرموز اللفظية في الاتصال بالآخرين يسبق استخدامها في الأفكار و يدور قدر كبير من تفاعلات الطفل مع بيئته حول كيفية إصدار تلك الادلة في الظروف المناسب، كذلك حول كيفية فهم ما يصدره الآخرين من تلك الادلة.

السياق الاجتماعي:

يؤكد دولارد وميللر أنه لا يمكن فهم السلوك الإنساني إلا بفهم السياق الثقافي الذي حدث فيه هذا السلوك ويساعدنا علم نفس التعلم على فهم مبادئ التعلم وكيف يتم اكتساب العادات والدوافع الثانوية وكيف يتم التعميم والتمييز وهذه تساعد المتخصص في العلوم الاجتماعية على أن يفسر على نحو نسقي الوقائع الثقافية العامة وكذلك يساعد عالم الاجتماع وعالم الأنثروبولوجيا على أن يوائم مبادئ التعلم والخبرات الإنسانية الفعلية التي تشكل شروط التعلم، ولفهم النمو الإنساني لابد من الجمع بين مبادئ التعلم وشروطه.

وأساس السلوك الاجتماعي عند دولارد وميللر هو التقليد الذي يعتبراه نمط استجابات متعلمة وفق الظروف والشروط السابقة للتعلم، فقد أثبتا تجريبياً أنه من الممكن بالنسبة للحيوان والأطفال على السواء أن

يتعلموا عادة التقليد إذا كوفئوا المكافأة المناسبة على قيامهم بأعمال تشبه أعمال الآخرين، ولهذا كان مفهوم التقليد عندهم جوهرياً بالنسبة لدراسة وتفسير عملية التطبيع الاجتماعي.

ويذهب ميللر ودولارد إلي أن الطفل في سعيه لخفض دوافعه وإشباع حاجاته يقلد الآخرين، **والسلوك التقليدي عندهما نوعان:**

الأول: يسميانه المعتمد المتكافئ.

الثاني: هو الناسخ.

وفي النوع الأول يطابق بين سلوكه وسلوك شخص آخر مع عدم إتباعه الإشارات في سلوك ذلك الآخر، مثال على ذلك: تعلم الطفل أن يحيي صاحب المتجر المجاور لبيته لأن أباه يفعل هذا.

أما في التقليد الناسخ فإن الطفل يتعلم أساساً سلوكاً جديداً عن طريق المحاولة والخطأ، فمثلاً عن طريق ملاحظة سباح ماهر، ثم قيامه بالتدريب يتعلم كيف يقفز إلي الماء قفزة سليمة.

ونجد أن نقل الثقافة من جيل إلي جيل يتم وفق قوانين التعلم، ويعتقد دولارد وميللر أن مبادئ التعلم التي توصلا لها تنطبق على جميع الثقافات ولكنهما يعتقدان أن أنماط الشخص السلوكية بخصائصها الدقيقة تتأثر تأثراً كبيراً بالمجتمع الذي تنتمي إليه.

مراحل النمو الحرجة:

يفترض دولارد وميللر أن الصراع اللاشعوري الذي يتم تعلم الجزء الأكبر منه خلال مرحلتي المهد والطفولة يشكل الأساس لأكثر المشاكل الانفعالية شدة في مراحل الحياة التالية، وهما يتفقان مع أصحاب نظريات التحليل النفسي في اعتبار أن خبرات السنوات الست الأولى من الحياة بمثابة محددات حاسمة لسلوك الراشد.

وقد حاول دولارد وميللر الربط بين أفكار نظرية التحليل النفسي وبين نظرية التعلم، ولكنهما لا يعتبران الشخصية امتداداً لدافع لبيدي أساسي يمر بمراحل تطورية مجتمعية (كما يعتقد فرويد) بل أن تصورهم للشخصية هو أن الطفل يتعلم أثناء نموه، بعض العادات الهامة التي تشكل شخصيته، وهذه العادات يكتسبها عندما يواجه إحباطات مختلفة من السلطة أو عندما يتعلم أن يكون ودوداً أو عدوانياً، أو عندما يحاول السيطرة علي بيئته لتحقيق رغباته، والطفل يكتسب هذه العادات خلال خبرات الرضاعة وتعلم ضبط وظائف الإخراج ويختلف دور كل خبة من طفل إلي طفل، فهناك طفل قد يكتسب عاداته الهامة في موقف الرضاعة، وطفل آخر يتعلم عاداته من خلال علاقاته بأشقائه.

وإذا استطعنا أن نكتشف العمليات الأساسية للتعلم التي أثرت في نمو الطفل فإننا نستطيع أن نفهم نمو الشخصية المقبلة.

مواقف التغذية:

نجد أن الطفل الرضيع يعتمد بقاؤه على معاونة الآخرين له، ونجد أنه مدفوع بدافع شديد هو الجوع، وشعور الطفل الصغير بالجوع يكون حاداً.

ونظراً لشدة هذا الدافع ونظراً إلي قوة الطعام كمدعم وكذلك نظراً إلي تكرار موقف التغذية، فإن هذا الموقف يعد من المواقف الهامة للتعلم، هنا يجد الطفل نفسه مع أول مشاكله التي يستطيع حلها، لنفرض مثلاً أن الطفل يصرخ باكياً معلناً عن جوعه وآتته امه باللبن تكون هذه هي الخطوة الأولى للتحكم في بيئته، ولنفرض بالعكس طفل يصرخ دائما دون جدوى مع م باردة، سوف يتعلم هذا الطفل التبلد لأنه لا يوجد شئ يفعله يحل له مشكلته، كذلك إذا وجدنا طفلاً يأتيه الأكل في مواقف مختلفة (مرة تأتيه عندما يصرخ مباشرة ومرة بعد أن يصرخ لمدة طويلة) هذا الطفل قد يتعلم المثابرة في مواقف الإحباط.

ويتعلم الطفل استجاباته الاجتماعية الاولى من موقف التغذية، فإذا كانت خبر التغذية مشبعة أصبحت الأم مثيراً للراحة، أما إذا كانت تعطيه غذاء غير كاف أصبحت رمزاً للتوتر والإحباط، ونجد أن موقف الجوع يشبه إلي حد كبير تجارب التعلم، فكلما يجوع الطفل تتم محاولة التغذية وكل ما يحدث أثناء المحاولة من تدعيم واستجابة يعلم الطفل فإذا تعلم التعميم إلي مواقف أخرى (مثل تعميم استجابة الحب من الأم إلي المرأة عموماً)، فمعنى ذلك أن خبرة التغذية تلعب دورا هاماً في نمو الشخصية، ويقابل هذا الموقف المرحلة الفمية عند فرويد.

التدريب على الإخراج:

نجد أن الأطفال الرضع لا يشعرون بالحاجة إلي النظافة ولذا لابد من تدريبهم على ضبط وظائف الإخراج، ويرى الطفل أن تعلم وظائف الإخراج أمر في غاية الصعوبة، وعندما يبدأ الطفل في تعلم عادات النظافة يواجه صراع الإقدام . الإحجام .، فبدلاً من التبرز والتبول حيثما أراد وتحت ضغط عضلات الشرج والمثانة عليه ان يتعلم كف هذه الاستجابات ولا يتبول إلا في المكان المخصص لذلك وإلا تعرض للعقاب.

ونجد أن بعض الأمهات يعاقبن الطفل ولكن هذا العقاب لا يؤدي إلي الإسراع في تعلم عادات الإخراج بالإضافة إلي أنه قد يؤدي إلي عواقب وخيمة، فالطفل قد يتعلم الخوف عندما يشعر بضغط المثانة لدرجة أنه قد يمسك على نفسه تماما ولا يتبرز إلا بصعوبة بالغة، وهنا تواجه الأم مشكلة أعمق من الأولى وكذلك نجد أن الأم التي تستخدم طريقة قاسية في تدريب طفلها على النظافة تزيد من احتمال وقوعه في المستقبل في بعض الاضطرابات الشخصية كصعوبة النطق والتهتهة أو المخاوف المرضي، ويقابل هذا الموقف المرحلة الشرجية عند فرويد.

التدريب الجنسي المبكر (تعليم الجنس):

في العام الثالث يبدأ كل من الطفل الذكر والأنثى الاهتمام بالأعضاء التناسلية واستثارة هذه المناطق، ويتوقف الأمر على سلوك الوالدين إزاء الطفل فإذا تم نهره بعنف، تنشأ استجابة سوء توافق نتيجة لهذه النواهي، وما يصاحبها من قسوة في المعاملة ويقابل هذا الموقف المرحلة القضيبية عند فرويد أو ما يسمى "بالموقف الأوديبي".

وفي هذه الحالة أيضاً يواجه الطفل صراع الإقدام . الإحجام فهو مدفوع باللعب الجنسي ويخاف من هذا اللعب في نفس الوقت، ويعتمد تأثير هذا الصراع على شدة الخوف وعلى المواقف التي سيطرح عليها، فالخوف الشديد من الجنس قد يعمم على السلوك الجنسي للشخص البالغ ويعوق ممارسة الجنس بعامة، أما الخوف البسيط فنادراً ما يطرح على المواقف الأخرى ولا يكون له إلا تأثيرا خفيفا.

التدريب للسيطرة على الغضب والعدوان:

نجد أن السلوك العدواني لدى الطفل يقابل عادة برفض بعقاب ويوضع الطفل في صراع آخر من صراعات الإقدام والإحجام، أي أنهم يريدون ان يكونوا عدوانيين ولكنهم يكفون أو يكبحون جماح هذه النزعة لخوفهم من العقاب، وقد يؤدي هذا إلي سلبية بحيث يعجز الفرد على التنافس الناجح في المجتمع.

ويشير دولارد وميللر أن نشأة العصاب تبدأ من هذ المواقف الأربعة، فإذا ما اكتسب الطفل (تعلم) سلوكاً غير متوافق أثناء عملية التنشئة الاجتماعية له وفي كل الأحوال تكون استجابات الطفل محكومة إما بالتدعيم الموجب أو السالب (الثواب والعقاب) من جانب المحيطين به، فالتدعيم الموجب يقوي الاستجابة، بينما التدعيم السالب يطفئها.

العمليات اللاشعورية:

يتفق دولارد وميللر مع فرويد في أهمية دور العوامل اللاشعورية كمحددات مهمة في سلوك الإنسان إلا أنهما يقدمان تفسيراً متبايناً مع تفسير فرويد إذ يقسم دولارد وميللر المحددات اللاشعورية **إلي قسمين:**

القسم الأول:

لم يمر من قبل بمرحلة الشعورية وقد اكتسبه الفرد وهو في المهد (في العامين الأوليين) قبل قدرته على التعبير اللفظي أو التواصل باللغة مع الكبار من حوله وهي مجموعة من البواعث أو المؤثرات والاستجابات المتعلقة بالحركة.

القسم الثاني: يضم ما كان شعورياً ولكنه لم يعد كذلك وتتضمن جميع الأدلة والاستجابات التي سبق أن كانت شعورية ولكنها من خلال الكبت لم تعد موجودة في الشعور.

والكبت عبارة عن عملية تجنب لأفكار معينة، ويرى دولارد أن الكبت استجابة متعلمة كأي استجابة أخرى، وحيث أنها استجابة لم تدعم إيجابياً وقد تكون قد دعمت سلبياً (عوقبت) من جانب الكبار مما ولد لدى الطفل شعوراً بالخوف من أن يكررها وعليه فإن الأفكار والذكريات والاستجابات التي تسبب مشاعر الخوف أو الغضب فإن الطفل يطرحها جانباً (لا يفكر فيها) إذ أن عدم التفكير فيها يؤدي إلي خفض المثيرات المسببة لها أي يؤدي إلي خفض التوتر أو إنقاص الدفاع فتدعم استجابة الكبت على هذا الأساس ويتم تعزيز الاستجابة بعدم التفكير فيها أي بتجنبها.

ويعتبر دولار وميللر أن الكبت يوجد على متصل يمثل من الزعات البسيطة إلي عدم التفكير في أشياء معينة إلي أشد أنواع تجنب المواد المهددة.

ويتوقف الكبت من حيث شموله وشدته على عوامل عديدة من بينها الاختلافات المحتملة في القوة الفطرية لاستجابة الخوف، ودرجة الاعتماد على الوالدين وبالتالي مدة شدة الفزع من فقدان الحب الذي يتعرض له الطفل وشدة الصدمات أو المواقف المخيفة التي تعرض لها الطفل.

الصراع:

الصراع بمعناه العام يتضمن وجود أحد دافعين متعارضين لا يمكنهم إشباعهما في وقت واحد.

ونجد أن الصراع أحد مفاهيم فرويد التي درسها ميللر وتلامذته دراسة متعقمة ولقد تحدث فرويد عن أن الكائن الإنساني يرث طاقة عزيزية (ليبيدو) وأن هذه الطاقة تكون في صراع مع مطالب المجتمع والأنا الأعلى، ولكن دولارد وميللر يرون أن الصراع مكتسب وأنه يتم تعمله في الطفولة المبكرة أي في السنوات الخمس الأولى من الحياة أو أن الطفل يكتسبه من والديه بسبب ممارستها للطرق الخاصة في التربية.

وقد وضع ميللر ودولارد عدة مبادئ لوصف السلوك الصراعي **وتوضيحه كالآتي:**

المبدأ الأول:

مؤداه أنه كلما اقترب الكائن في الهدف ازداد ميله للاقتراب منه.

ولاختبار صحة هذ الفرض صمم ميللر تجريباً بسيطاً، ففي هذه التجربة يتعلم الفأر التوجه مباشرة داخل الصندوق إلي طبق الطعام الذي يبتعد عنه حوالي 200 سم، فالهدف هنا هو طبق الطعام، أما قوة الميل للاقتراب فتقاس بربط الفأر بحلقة في السقف تجري على مقياس بحيث كلما جري الفأر وشد معه الحلقة نستطيع قياس قوة الشد بالجرام، وبعد أن درب الفأرعلى هذا العمل كان الباحث يضع الفأر على بعدين مختلفين من الأكل: 30سم، 170سم فكان يجد أن الفأر تزداد قوة والشد كلما اقترب من الهدف وتوضح لنا نتيجة هذه الدراسة صدق هذا المبدأ.

المبدأ الثاني:

مؤداه أنه كلما اقترب الكتئن من المثير المخيف ازداد ميله للابتعاد عنه.

ولاختبار صحة هذا الفرض كان ميللر يضع الفئران في صندوق حيث تتلقى صدمة كهربائية في أحد أطرافة (في نهاية الصندوق بدلاً من طبق الطعام) وقد أوضحت النتائج أن الفأر عندما يوضع بالقرب من هذا المثير المخيف يفر أكبر مما لو وضع بعيداً عنه.

المبدأ الثالث:

ينص على أن المعدل الذي تتزايد به نزعات الإحجام بالاقتراب من الهدف أكبر من المعدل الذي تتزايد به نزعات الإقدام في نفس الظروف.

المبدأ الرابع:

ينص على "أن قوة الميل للأقدام أو للإحجام تختلف حسب قوة الدافع"

ولإثبات صحة هذا الفرض قام ميللر بالتجارب الآتية:

ففي تجارب الإقدام تعد مجموعة من الفئران الجائعة فئران تجوع لمدة 46 ساعة، وأخري تجوع لمدة ساعة، وتوضح لنا النتائج أن دافع الجوع الشديد يؤدي إلي شدة الميل للإقدام، في حين أن الفأر الجائع لمدة ساعة واحدة كان ميله للإقدام ضعيفاً، وكذلك في تجارب الإحجام تعد مجموعتين من الفئران أحداهما تتلقى صدمة كهربائية حادة والثانية تتلقي صدمة كهربائية خفيفة وقد وجد ميللر أن المجموعة التي تلقت صدمة حادة وبالتالي يكون خوفها أشد كان ميلها للابتعاد أشد قوة من الفئران التي تلقت صدمة خفيفة.

المبدأ الخامس:

مؤداه "أنه حين تتصارع استجابتان لا سبيل إلي اتساقها فإن أقواهما هي التي تحدث".

الأنواع العامة للصراع في نظام ميللر:

- **صراع الإقدام . الإقدام:**

وهو يشير إلي الموقف الذي تكون فيه لدى الكائن نزعة إلي الاقتراب من هدفين مستقلين مع كون الاقتراب من أحد الهدفين يؤدي إلي فقدان الآخر، مثال لهذا النوع من الصراع هو الشابة أمام خطيبين جذابين بنفس الدرجة، وتود الزواج من كليهما واختيار أحداهما يؤدي بالضرورة إلي فقدان الآخر، وهذا النوع من الصراع عادة ما يكون يسيراً في حله.

- **صراع الإحجام 0 الإحجام:**

وهذا الصراع ينشأ بين دافعين لكل منهما جاذبية سالبة أي يوجة كل منهما في نفس الوقت إلي الابتعاد عن هدف معين.

كما في حالة الطفل الذي يطلب منه شرب اللبن وهو يكرهه أو يلقى عقاباً من الأم ويتسم هذا النوع من الصراع بخاصيتين أحداهما التردد وصعوبة اتخاذ القرار والثاني الهرب، وقد يكون الهرب بترك الموقف الذي أدي إلي الصراع أو بالهروب العقلي وذلك لانشغال بأفكار أخرى أو بأحلام اليقظة.

- **صراع الإقدام . الإحجام:**

وهو صراع ينشأ بين دافعين يستثاران في نفس الوقت في اتجاهين متضادين ويحدث ذلك حين ينجذب الفرد إلي هدف ويصد عنه في وقت واحد فالعمل قد يكون جذاباً بسبب ارتفاع الأجر ولكنه قد يكون مملاً أو خطراً.

البحوث المميزة وطرق البحث:

لقد أورد دولارد وميللر قدراً كبيراً من البحوث التي توضح أو تختبر ما يستنتج من هذا الموقف النظري، وفي مجلدهما التعلم الاجتماعي والمحاكاة (1941) تلخيص لعدد من الدراسات على الإنسان والحيوانات الدنيا وهي تمثل محاولات للتثبيت من التبؤات المنبعثة من نظريتهما، ولقد أجرى ميللر عدداً من الدراسات التجريبية المتعلقة بمختلف جوانب النظرية.

ونجد أن مفهوم الإزاحة يشغل موقعاً رئيسياً في نظرية التحليل النفسي حيث يستخدم عادة في الإشارة إلي قدرة الكائن على إعادة توجيه الاستجابات أو الدفعات نحو موضوع جديد حين يصعب عليها التعبير عن موضوعها الأصلي.

وفي ضوء نظرية دولارد وميللر يمكن تفسير مفهوم الإزاحة من خلال مفهوم المثير.

ولقد حاول ميللر في سلسلة من تجاربه أ ن يتناول الظاهرة التجريبية وأن يوضح استمرار تعميم إزاحة المثير، وأن يقدم التفسير النظري الذي سوف يسمح بتنبؤات جديدة فيما يتعلق بتلك الوقائع.

ولقد حاولا ميللر وبوجلسكي عام (1948) في دراسة لهما توضيح الإزاحة لدى مجموعة من الأفراد، ولقد طبق الباحثان مجموعة من الاستبانات لتقدير الاتجاهات نحو المكسيكيين واليابانيين على جماعة من الأولاد المنضمين إلي معسكر صيفي ولقد أجبر الأولاد في أثناء ملئهم الاستبانات على أن يتخلوا عن مناسبة اجتماعية ذات أهمية بالغة، ثم تمت مقارنة الاتجاهات التي عبروا عنها الأولاد نحو جماعة الأقلية بعد الإحباط ولقد أوضحت النتائج أن هناك تزايد ملحوظ في الاتجاهات السلبية التي عبر عنها الأولاد نحو جماعة الأقلية بعد الإحباط، ولقد كان تفسير ذلك التزايد في الكراهية هو أنه إزاحة للكراهية التي أثارها القائمون بالتجربة بإعاقة الأولاد عن مشاهدة تلك المناسبة الاجتماعية وبتعبيرات التحليل النفسي فقد نقل المفحوصون ما يستشعرونه من كراهية حيال القائمين بالتجربة إلي أعضاء جماعة الأقلية، وفي لغة (م. س) فإنهم قد عمموا الاستجابة من موضوع مثير إلي موضوع مثير آخر مشابه له.

ويعتقد ميللر أن كلا من نظرية التحليل النفسي ونظرية (م . س) تفترض أن استجابة معينة قد تعمم من مثير لآخر وأيضا من باعث لآخر.

ولاختيار هذا التنبؤ تلقت مجموعة من الفئران تدريباً في ظل دافع العطش على اجتياز ممر وكانت المكافأة هي شرب الماء، ثم قسمت هذه الحيوانات فيما بعد إلي مجموعتين كل منها مرتوية من الماء، ولكن واحدة منهما محرومة من الطعام والأخرى ممتلئة طعاماً وكان التنبؤ هو أن استجابة اجتياز المتاهة التي سبق تعلمه في ظل العطش سوف تعمم أو تزاح إلي باعث الجوع، وبالتالي فالفئران الجائعة ينبغي أن تعبر بسرعة أكبر من سرعة الفئران غير الجائعة، وقد أسفرت النتائج عن تأكيد هذا التنبؤ، ولقد أقام الباحث

أيضاً الدليل على تعميم الاستجابة من باعث الجوع إلي بواعث الألم والخوف الأبعد نسبياً، وهذا يعتبر اختباراً أكثر إحكاماً.

المكانة الراهنة والتقويم:

نجد أن نظرية ميللر ودولارد والبحوث التي أجرياها تتميز بعدة **خصائص جيدة هي:**

. وضوح المفاهيم الرئيسية لهذه النظرية وارتباطها بالوقائع التجريبية.

. ندرة استخدامها للمفاهيم أو الصبغات الغامضة أو التوريات الغامضة أو الرغبة في الحدث.

. من أبرز إسهامات نظرية (م . س) في موضوع الشخصية متضمنة في ذلك التفصيل الدقيق الذي عرضت به النظرية عملية التعلم.

. نجد أن دولارد وميللر يتفوقان تقريباً عن جميع أصحاب النظريات الآخرين من حيث استخدام المتغيرات الحضارية الاجتماعية بوضوح أكثر.

. لقد استفاد في نظريتهما من كلاً من علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية والتحليل النفسي الإكلينيكي، وإن نظرياتهم تدين بالكثير لتأثير التحليل النفسي.

. نجد أن علماء الأنثروبولوجيا الحضارية قد استفادوا من هذه النظرية حيث طبقوا تلك النظرة على نطاق أكثر اتساعاً من أي نظرية أخرى للشخصية باستثناء التحليل النفسي.

. رغبتهم في إخضاع الخلافات النظرية للاختبار التجريبي يمثلان تفوقاً حاسماً لتلك المجموعة على غالبية أصحاب النظريات الأخرى.

. لقد أصبحت نظرية (م . س) تمثل بشكل نموذجي المنهجي التجريبي الموضوعي في معالجة السلوك الإنساني ولكن قد وجه إليهم النقد لأن معظم تجاربهم كانت تتم على سلالات من الحيوانات الدنيا.

ومن وجه النقد التي وجهت أيضاً إلي نظرية المثير والاستجابة ما يلي:

. أن التعميم من الحيوانات الدنيا مثل (الفئران . القطط . الكلاب) غلي الإنسان يكون خاطئاً بالضرورة فهذه الحيوانات ليست اجتماعية ولا تتكلم ومن هنا فإن التعميم يكون مخلاً نظراً للخلاف الكيفي بين الإنسان وجميع أعضاء المملكة الحيوانية.

. أنها لا تقدم تفسيرات مسبقة مناسبة للمثير والاستجابة، فهذان المصطلحان يعملان بكفاءة تامة في الكائن المحدود في بيئته المقيد أما بالنسبة للكائن الراشد الإنسان والذي في بيئة طبيعية فإن تخصص المثير لا يمكن أن يحقق إلا بعد توافر فهم متكامل نسبياً للواقعة السلوكية محل التساؤل.

. نجد أن نظرية (م . س) ليس لديها سوى القليل لتقوله فيما يتعلق بأبنية الشخصية.

. أنها تقوم بتفتيت السلوك وانتزاعه من سياقه.

. تبالغ هذه النظرية في السلوك الإنساني إلى حد مبالغ فيه حين تحلل السلوك المعقد إلي مجموعة من الاستجابات البسيطة التي تتكون نتيجة الربط بي المثير والاستجابة.

. أنها تركز على السلوك الظاهري للفرد على المكونات البيئية للشخصية ولم تهتم كثيراً بالمكونات الداخلية.

نظرية كارل روجرز

التصورات الرئيسية المكونة لنظرية روجرز:

- الكائن العضوي وهو الفرد بكليته.
- المجال الظاهري وهو مجموع الحياة والخبرة.
- الذات هي الجزء المتمايز في المجال الظاهري تكون من نمط الإدراكات والقيم الشعورية بالنسبة للأنا وضمير المتكلم .

خصائص الكائن:

- إنه يستجيب ككل منظم للمجال الظاهري حتي بشبع حاجاته.
- إن له دافعاً أساسياً واحداً وهو أن يحقق وصون ويعزز ذاته.
- إنه قد يرمز لخبراته بحيث تصبح شعورية أو قد ينكسر عليها الرمز بحيث تظل لا شعورية أو قد يتجاهلها كلية.
- المجال الظاهري له خاصية أن يكون شعورياً أو لا شعورياً وذلك على حسب ما إذا كانت الخبرات التي تكون المجال تحولت إلى رموز أو لا.

خصائص الذات:

هي المفهوم النواة في نظرية روجرز عن الشخصية وأهم خصائصها:

- إنها تنمو من تفاعل الكائن مع البيئة.
- قد تمتص قيم الآخرين وتدركها بطريقة مشهوهة.
- تنزع الذات إلى الاتساق.
- يسلك الكائن بأساليب تتسق مع الذات.
- الخبرات لا تتصور مع الذات وتدرك بوصفها تهديدات.
- قد تتغير الذات نتيجة للنضج والتعلم.

الجوانب الأساسية المكونة لمفهوم الذات لنظرية الذات:

الخبرة:

يمر الفرد في حياته بخبرات كثيرة والخبرة هي شيء أو موقف يعيشه الفرد في زمان وكان معين ويتفاعل الفرد منها وينفعل بها ويؤثر فيها ويتأثر بها والخبرة متغيرة ويحول الفرد خبراته إلى رموز يدركها ويقيمها في ضوء مفهوم الذات وفي ضوء المعايير الاجتماعية أو يتجاهلها أو ينكرها أو يشوهها.

والخبرات التي تتفق وتتطابق مع مفهوم الذات ومع المعايير الاجتماعية تؤدي إلى الراحة والخلو من التوتر وإلى التوافق النفسي والخبرات التي لا تتفق مع الذات والتي تتعارض مع المعايير الاجتماعية

يدركها الفرد على أنها قيماً سالبة تؤدي إلى تهديد وإحباط مركز الذات والتوتر والقلق وسوء التوافق النفسي وتنشيط وسائل الدفاع النفسي التي تعمل على تشويه المدركات.

الفرد:

الفرد قد يرمز أو يتجاهل أو ينكر خبراته المهددة فتصبح شعورية أو لا شعورية.

والفرد لديه دافع أساسي لتأكيد وتحقيق وتعزيز ذاته ويتفاعل مع "واقعه" في إطار ميله لتحقيق ذاته، ولديه حاجة أساسية للتقدير الموجب (الحب والاحترام و التعاطف مع جانب الآخرين)، وهذا التقدير الموجب للذات متبادل مع الآخرين المهمين في حياته، وتحدد حاجات الفرد ودوافعه كما يدركها أو كما يخبرها جانباً من سلوكه.

السلوك:

السلوك هو نشاط موجه نحو هدف من جانب الفرد لتحقيق وإشباع حاجاته كما يخبرها في المجال الظاهري، ويتفق معظم السلوك مع مفهوم الذات ومع المعايير الاجتماعية وبعضه لا يتفق مع بنية الذات والمعايير الاجتماعية، وعندما يحدث تعارض هنا يحدث عدم التوافق النفسي، ويمكن تغيير السلوك وتديله (تبني السلوم أو انكاره) ويصحبه الانفعال ويسهله . وقد يحدث نتيجة للخبرات أو الحاجات العضوية التي لم تأخذ صورة رمزية لكونها غير مقبولة، ومثل هذا السلوك قد يكون غير متطابق مع بنية الذات ومفهوم الذات وفي هذه الحالة قد يتنصل الفرد منه، وأحسن فهم لسلوك الفرد يكون من وحهة نظر الفرد نفسه ومن داخل إطاره المرجعي أي من داخل مجاله الإدراكي.

المجال الظاهري:

يوجد الفرد في وسط مجال ظاهري، ويسلك الفرد ككل منظم في هذا المجال الظاهري أي المجال الشعوري كما يدركه وكما يخبره، والمجال الظاهري هو عالم الخبرة المتغيرة باستمرار وهو كل الخبرات ومجموعها وهو عالم شخصي بذاته ويتفاعل الفرد مع المجال الظاهري كما يخبره وكما يدركه ويعتبر على الأقل من وجهة نظر الفرد "واقعا" وحقيقة.

مثال:

مريض الفصام الهذائي يدرك أن كل من حوله يقولون عليه وهذا قد يكون صحيحاً أو لا صحيحاً ولكن بالنسبة له يعتبر واقعاً وحقيقة مدركة تحدد استجاباته وسلوكه.

ويرتبط المجال الظاهري بالذات الظاهرية التي يدركها الفرد، والمجال الظاهري يختلف عن المجال غير الظاهري أي المجال اللاشعوري الذي يتضمن الأجزاء اللاشعورية من الذات والخبرات.

تحتوي نظرية الذات على ثلاثة موضوعات وهي: المستويات التي تنمو من خلالها الذات.

موضوع تحقيق الذات:

إن مصطلح تحقيق الذات من المصطلحات المناسبة للديناميات التي تصف الإنسان من بدايته كالطفل حتي يبلغ مرحلة الرشد.

إنه في تحقيق الذات كل العمليات التي يميز بها الإنسان نفسه عن الآخرين ويميز بها وظائفه العضوية عن وظائفه الاجتماعية ولكن قبل أن تستطيع الشخصية القيام بأي شيء عليها أن تبدأ في الواقع.

موضوع بقاء الذات:

وما أن تحقق الشخصية ذاتها إلى أقصي ما تستطيع حتي يكون عليها أن تستمر في الإبقاء على نفسها، فليس يكفي أن تكون شيئاً بل يجب أن تبقي شيئاً.

وفي مستوي الابقاء على الذات فان على الفرد أن يفهم ذاته إلى أقصي حد ممكن، فمستوي الابقاء على الذات يؤدي إلى ثراء ونضج وتشعب الشخصية كلها.

موضوع تقوية الذات:

وما أن يرغب الفرد في تحقيق ذاته فالفرد يريد أن يتجاوز حدود الوضع الراهن ولا تتحقق تقوية الذات بسهولة وبساطة وانما تكون نتيجة الصراع والجهد والألم . إنها عملية تراجع وتقدم وتراجع وتقدم وهكذا. (إنها عملية فقد وكسب لأهداف الفرد).

لقد أبرز روجرز طبيعة هذه المفهومات وعلاقتها المتداخلة في سلسلة من تسع عشرة قضية وسوف نقدم هذه القضايا ونناقشها بالترتيب الذي قدمها به روجرز في كتاب (العلاج المتمركز حول العميل):

- يوجد كل فرد في عالم من الخبرة دائم التغيير، هو مركزه وعالم الخبره المتغير هو المجال الظاهري عند سينج وكومز ولو أن روجرز لا يفترض مثلهما أن جميع الخبرات تدرك شعوراً وفي الحقيقة فهو يقرر أنه من المحتمل أن جزاءاً صغيراً فقط هو الذي يدرك شعورياً وتشير كلمة الخبرة إلى كل ما يدور بداخل الكائن في أي لحظة معينة بما في ذلك العمليات الفسيولوجية والانطباعات الحسية والنشاطات الحركية ومعظم خبراتنا اللاشعورية قادرة على تصبح شعورية عندما تدعو الحاجة إلي ذلك أي أنها بلغة التحليل النفسي توجد في القبشعورية لا في اللاشعور

ويتكون الشعور عند روجرز مما يمكن ترميزه (تحويله إلى رمز) وهي خاصية لكل المجال الظاهري الذي تكون خلفيته لا شعورية بدرجة أو بأخري، ويعتقد روجرز أن هذا العالم الخاص من الخبرة لا يمكن أن يعرف إلا للفرد نفسه، وأن السيكولوجي بأساليبه لتعيين وقياس خواص المثير واختياراته لتقييم الشخصية لا يمكن أن يعرف المجال الظاهري للشخص بالشكل الكامل الذي يمكن به للفرد أن يعرفه وبالطبع فإن الشخص ربما لا ينمي أبداً هذه المعرفة بالذات ولو أن لديه الاستعدادات للقيام بذلك.

ووفقاً لهذه القضية فان الشخص هو أحسن مصدر للمعلومات عن نفسه ولما كانت عباراته ترمز للخبرة الداخلية فان السيكولوجي لا يمكنه أن يعلم ما يوجد في عالم عمليه الخاص الا بالاستماع إلى ما

يقوله، وأن موقف العلاج المتمركز حول العميل بتأكيده على التسامح والقبول الغير مشروط لكل ما يقوله العميل يوفر جواً مواتباً بشكل خاص للحصول على تقريرات ذاتيه حره وصريحه.

- يستجيب الكائن للمجال كما يخبره ويدركه، وهذا المجال الإدراكي هو واقع بالنسبة للفرد وتؤكد هذه القضية أن الشخص لا يستجيب للمثيرات الخارجية أو الاضطرابات الداخلية كما هي وانما هو يستجيب للمثيرات الخارجية أو الاضطرابات الداخلية كما هي وإنما هو يستجيب إلى خبراته عن الظروف الدافعة أو المثيرة . فالواقع عنده هو ما يظنه الحقيقة بصرف النظر عن احتمال أن حقيقي أو غير حقيقي، وهذا الواقع الذاتي هو الذي يحدد كيف يسلك، والسؤال الذي يطرح نفسه هو كيف يتمكن الشخص من أن يفرق بين الصورة الذاتية التي تمثل الواقع تمثيلاً خاطئاً، وتلك التي تمثله تمثيلاً صحيحاً. أي كيف يستطيع الإنسان أن يفصل الحقيقة عن الخيال في علمه الشخصي . تلك هي المفارقة الكبري فى الفينومينولوجيا ولكن روجرز يزيل هذه المفارقة بأن يتخلي عن الإطار النظري للفينومينولوجيا الخالصة . فليس كل ما يخبره الشخص ويعتقده هو الواع بالنسبة إليه بل هو مجرد فرض عن الواقع موضوع تحت الاختبار قد يتحقق وقد لا يتحقق ويعلق الفرد الحكم على هذا الفرض حين تحين له فرصة اختباره.
- يستجيب الكائن الحي إلي المجال الظاهري ككل منظم وتشير كلمة كل منظم إلى مفهوم يؤكد على أهمية دراسة الظاهرة من خلال الكائن الحي Organismic أو الكل Holistic وهو مفهوم شاع استخدامه بفعل سيكولوجيا الجشطلت ومولدشتين، وغيرهم، ويقصدةروجرز حين يستخدم هذه الكلمة أن ينال بوجهة نظره عن أي منهج للبحث يقوم على تجزئة الانسان، وهو يرفض سيكولوجية المثير - الاستجابة ويؤيد السيكولوجيا التي تؤكد أهمية دراسة الاستجابات الكلية المنظمة الهادفة فالكائن الحي بناء منظم على الدوام يعقي التغيير في أحد أجزائه تغيير في كل جزء آخر.
- الكائن الي له نزعة tendency واحدة أساسية هي تحقيق وابقاء وتقوية الكائن الحي الذي يحيي الخبرة، وقد استعار روجرز هذه القضية من سينج وكومز . وتشير هذه القضية إلى أن الكائن الحي نظام واحد دينامي يعد الباعث الواحد منه تفسيرً كافياً للسلوك بأكلمه كما نشير إلى أن الشخصية حين تفصح عن نفسها انما تسير وفق الخطوط التي تحددها طبيعة الكائن الحي نفسه . فهناك من ناحية قوة دافعة واحدة، وهناك من ناحية أخري هدف واحد للحياة.
- السلوك في أساسه محاولة موجهة نحو هدف هم اشباع الحاجات التي يخبرها الكائن الحي في مجال كما يدركه ولا ينقض هذا الغرض القائل "بعدة حاجات" فكرة وجود دافع واحد، فعلي الرغم من وجود حاجات كثيرة فإن كلاً منها يخدم النزعة الأساسية للكائن الحي لصيانة ذاته ودعمها ويظل روجرز علي تمسكه بوجهة النظر الظاهرية حين يستخدم عبارات وصفية من نوع "كما يخبر" كما تدرك ولكن روجرز في مناقشته تلك القضية يقر بأن الحاجات تثير سلوكاً ملائماً حتي لو لم تخبر هذه الحاجات شعورياً (أي تحولت إلى رموز بصورة مناسبه).
- يصاحب الانفعال السلوك الموجه نحو الهدف ويسهل مهمته بوجه عام، فيرتبط نوع الانفعال بتلك النواحي من السلوك التي تجد في الطلب، وذلك مقابل النواحي الاستهلاكية للسلوك، كما ترتبط شدته بمدي الأهمية المدركة للسلوك في الحفاظ على الكائن الحي وتدعيمه، فالشخصية تحاول إذن إحداث التكامل بين نوعين من الانفعالات غير السارة المهتاجة والانفعالات الهادئة والتي تحدث الإشباع

والرضا للفرد . ويحدد الإدراك شد الاستجابة الانفعالية فاذا تهددت حياة الفرد لخطر ما زادت شدة انفعالاته أما اذا كان الخطر تافهاً فيقل الانفعال مع الموقف.

- إن أحسن موقع ممكن لفهم السلوك هو من خلال الإطار المرجعي الداخلي للفرد نفسه . فالسلوك الذي قد يبدو غريباً أو لا معني له في نظر الملاحظ الخارجي، قد يكون سلوكاً عرضياً وهادفاً إلى حد بعيد بالنسبة للفرد نفسه وقد يكون هناك مآخذ كثيرة ومشكلات عميقة فى الوصول إلى المشاعر الداخلية الاستنباطية لفرد معين، ولكن في حياة كل فرد منا نظائر في حياة الآخرين، لذا فإن التحيز أو الفكرة المسبقة ما جانبنا قد تحطم وتهدم قدرة الفرد على أن يري داخل الشخص الآخر.
- يتمايز جزء من المجال الادراكي الكلي بالتدرج ليكون الذات . يعتبر روجرز آراء سينج وكرمز فيؤكد أن اذلات الظاهرية تتمايز من المجال الإدراكي الكلي والذات هي وعي الفرد الموجود ونشاطه أو هو بتعبير آخر الذات كموضوع والخبرات التي تنسب جميعها إلى شيء واحد هو (أنا) أو ضمير المتكلم، كما تمايز هذه الذات من المجال الكي وذلك هو ما تجيب عنه القضية التالية.
- نتيجة للتفاعل مع البيئة ومع الأحكام التقويمية للآخرين بشك لخاص يتكون بناء الذات من نمط تصوري منظم، مرن ولكن متسق، من إدراكات خصائص وعلاقات الـ"أنا" أو ضمير المتكلم مع القيم التي ترتبط بهذه المفاهيم فالخبرة مع الآخرين تساعد الفرد أن ينمي إحساساً بالذات، ويلعب تأثير الآباء في هذه المرحلة دوراً هاماً في بناء الذات.
- القيم المرتبطة بالخبرات والقيم التي تشكل جزءاً من بناء الذات هي في بعض الحالات قيم يخبرها الكائن الحي بصورة مباشرة وفي بعض الحالات قيم يستخدمها أو يأخذها عن آخرين ولكن تدرك بطريقة مشوهة كما لو كانت قد خبرت بطريقة مباشرة، فالخبرات لها قيم وهذه القيم قد تكون خبرات مباشرة، أو يكتسبها الفرد من الآخرين أو محرفة، ولكن مهما كان مصدرها فإنها تنشأ عن الخبرات.
- تتحول خبرات الفرد التي تحدث له فى حياته (أ) إلى صورة رمزية تدرك وتنظم في علاقة ما مع الذات (ب) يتجاهلها الفرد حيث تدرك لها علاقة ببناء الذات (ج) يحال بيمها وبين الوصول إلى صورة رمزية أو تعطي لها صورة رمزية مشوهة لأنها لا تتسق مع بناء الذات . ومرة أخري تجد أن الذات هي حجر الزاوية للإدراك الشعوري أو الإدراك الذي هو دون المتوي الشعوري، وبناء الذات الحالي هو الذي يحدد نوع الخبرات التي يمكن للفرد قبولها.
- تنسيق معظم الطرق التي يختارها الفرد لسلوكه مع مفهومه عن نفسه، وتمثل هذه القضية المحور الأساسي لكتاب ليكي الصغيرة "اتساق الذات" الذي واذا صدقت هذه القضية فان أحسن طرقة لإحداث تعديل فى السلوك يكون بإحداث نغيير في مفهوم الذات وهذا هو ما تحاوله نظرية العلاج المتمركز حول العميل علاج متمركز حول الذات.
- قد يصدر السلوك في بعض الحالات عن خبرات وحاجات عضوية لم تصل إلى مستوي التعبير الرمزي، ومثل هذا السلوك قد لا يتسق وبناء الذات ولكن في مثل هذه الحالات لا يكون السلوك منتمياً للفرد فعندما لا يكون السلوك مقيداً أو مضبوطاً، فقد ينظر إليه على أنه لا ينتمى إلى الذات.
- ينشأ سوء التوافق النفسي حين يمنع الكائن الحي عدداً من خبراته الحسية والحشوية ذات الدلالة من بلوغ مرتبة الوعي ويؤدي هذا بدوره إلى الحيلولة دون تحول هذه الخبرات إلى صور رمزية وإلي عدم انتظامها في جشطلت بناء الذات ويسبب مثل هذا الموقف قدراً كبيراً أو أساسياً من التوتر النفسي.

- يتوفر التوافق النفسي عندما يصبح مفهوم الذات في وضع لكل الخبرات الحسية والحشوية للكائن الحي بأن تصبح متمثلة في مستوي رمزي وعلى علاقة ثابتة ومتسقة مع مفهوم الذات فكما أن لفرويد هو، وأنا . وليونج شعور، ولاشعور . فان لروجرز أيضاً جهازين هما الكائن الحي، والذات . وقد يمنع الكائن الحي بعض الخبرات التي لا تتسق مع الذات من أن تصبح شعورية، كما أن الذات لديها الدرة على اختبار الخبرات التي تتسق مع بنائها أما نتائج هذه القسمة الثنائية للكائن الحي والتعرض بينهما فيتضح في القضية التالية.
- قد تدرك أي خبرة لا تتسق مع بنية الذات أو تنظيمها كتهديد وكلما كثرت هذه المدركات زاد الجمود في التنظيم بنية الذات لكي تحافظ على نفسها وتنكر الذات عادة هذه الخبرات التي تهددها فيزداد ابتعادها عن واقع الكائن الحي مما يتطلب دفاعات أكثر للمحافظة على صورة زائفة تصد الذات عن التشبث بها.
- في ظل ظروف خاصة تتضمن أساساً انتقاء أي تهديد للذات يصبح إدراك الخبرات التي لا تتسق مع مفهوم الذات أمراً ممكناً . كما يصبح من الممكن مراجعة بناء الذات له كل يسمح بتمثيل هذه الخبرات وجعلها متضمنة في بناء الذات والتغير الذي يحدث في الشخصية ينشأ من تقبل الشخصية لواجهة جديدة لذاتها . إن الاطمئنان الذي يشعر به العميل خلال العلاج المتمركز حول الذات يسمح له بتنظيم مفهوم عن ذاته والاتساق مع خبرات واقعية، وبذلك يتكمن من احداث تعديل في مفهومه عن ذاته.
- حين يدرك الفرد جميع خبراته الحسية والحشوية ويتقبلها في نظام واحد متسق ومتكامل يصبح عندئذ بالضرورة أكثر مفهوماً للآخرين وتقبلاً لهم كأفراد منفصلين وحين تنمي الشخصية مفهوماً للذات متسقاً فإنها تدر كنتيجة لذلك على تكوين علاقة شخصية طيبة متبادلة مع الآخرين.
- مع ادراك الفرد لمزيد من خبراته العضوية وتقبله لها في بنية الذات يجد أنه يستبدل نظامه القيمي الحالي – الذي يقوم على ما يستدمجه من الآخرين والذين تعرضوا لتشويه رمزي- بعملية تقييم عفوية مستمرة ومع زيادة ثقة الفرد في عملية التقييم يجد النظام القديم غير مثير للتهديد ولا لزوم له.

وفي ختام مناقشته للتسع عشرة قضية يضع روجرز النتائج النهائية لوجهة نظره في هذه العبارات المحددة:

تعد هذه النظرية الظواهرية الطابع في أساسها وتركز في المقام الأول على الذات كمفهوم تفسيري وهي تصور نقطة النهاية لارتقاء الشخصية بوصفها اتفاقاً أساسياً بين المجال الظواهري للخبرة والبناء التصوري للذات . وذلك موقف إذا تحقق، فانه يمثل تحرراً من الإجهاد الداخلي والقلق، ومن الإجهاد المحتمل، وهذا هو حد الكمال في التوافق بين الموجه واقعياً، ومعناه إقامة نظام فردي للقيم وعلى جانب كبير من الاتفاق من نظام القيم لأي إنسان آخر له نفس القدر من التوافق السوي.

وفي عرض جديد لنظريته في الشخصية لم ينشر بعد 1955م، ادخل روجرز ثلاثة مفهومات توحيدية جديدة هي:

- الحاجة إلى الاعتبار الايجابي.

- الحاجة إلى اعتبار الذات.
- شروط التقدير.

وبتفصيل أكثر نضعها في:

- هذا المسلم يتعلق برغبته الشخصية في التقدير الاجتماعي ويحدث في بعض الأحيان أن الرغبة في أن يكون المرء على صواب وينال المدح والتقدير من الآخرين في مجتمعة سيحدث أن تتغلب على القيم التي يرغبها تنظيم الذات وقد يؤدي هذا التسلط على الوظائف الداخلية وديناميكيات الذات والتغلب عليها.
- يجد روجرز أن هنام رغبة قوية جداً لتقدير الذات توازي الرغبة للتقدير الاجتماعي، ولما كانت هذه الحاجة تنمو بالخبرة فمن الممكن أن تتجاهل الشخصية ضغوط المجتمع التي أعطته الرغبة للتقدير الاجتماعي.
- نظراً للقوي والرغبات والمتطلبات التي يفرضها التقدير الاجتماعي وتقدير الذات ينمو اتجاه بجداره الذات يساعد الفرد في خضم حياته اليومية.

العلاج المتمركز حول العميل Client- Centeres Therapy :

لقد ذاعت شهرة طريقة روجرز في العلاج النفسي الممركز حول العميل حيث بنيت هذه النظرية أساساً على خبرته في التوجيه غير المباشر وأذاع صيته في الأوساط السيكولوجية بسبب وضوح النظرية والزمن القصير الذي يستغرقه العلاج بهذه الطريقة.

في السنوات الأولي من تخصص الإرشاد والعلاج النفسي كان يسأل: كيف يستطيع ان يعالج أو يغير هذ الشخص ولكن الآن يعيد صياغة هذا السؤال بهذه الطريقة: كيف يستطيع أن يوجد علاقة وجواً نفسياً يستطيع هذا الشخص من خلاله أن يحقق أفضل نمو نفسي؟.

لقد حدد روجرز هدف العلاج النفسي المتمركز حول العميل بأنه ليس مجرد مشكلة معينة ولكن هدفه هو مساعدة العميل على النمو النفسي السوي . يهدف أيضاً إلى احداث التطابق بين الذات الواقعية وبين مفهوم الذات المدرك ومفهوم الذات المثالي ومفهوم الذات الاجتماعي . أي أنه يرتكز حول تغيير مفهوم الذات بما يتطابق مع الواقع، واذا تطابق السلوك مع مثل هذا المفهوم الاقرب إلى الواقع كانت النتيجة هي التوافق النفسي.

وأهم ما يقرر استخدام طريقة العلاج النفسي الممركز حول العميل هو تفتح العميل وتكاملة بدرجة تمكنه من أن يتمسك بزمام مشكلته في يده وأن يعالجها بذكاء تحت إرشاد العلاج غير المباشر.

بالرغم من كل هذا إلا أن روجرز نفسه يعترف بأن هذه الطريقة قد لا تناسب كل أنواع اضطرابات الشخصية، وانها مفيدة مع أنواع معينة من العملاء وخاصة أولئك الذي يكون ذكاؤهم متوسطاً ويكون لديهم طلاقة لفظية وإنها تكون مناسبة جداً في حالات الإرشاد العلاجي والاستشارة النفسية.

ملامح العلاج النفسي الممركز حول العميل:

- **العميل:** المسترشد الذي تقدم له خدمات الإرشاد هو الفرد الذي تتمركز حوله عملية العلاج والارشاد، ويكون لدي العميل محتوي محدد في مفهوم الذات الخاص أو يدرك ويعي التهديد عدم التطابق بين الذات والخبرة بين مفهوم الذات والذات المثالية وهو يدرك ويعي التهديد الناجم عن عدم التطابق ويميز العميل شعورياً، وفي وعي العوامل الكامنة في عدم التوافق النفسي ويمكنه أن يعيد مفهوم الذات ليحقق التطابق بينه وبين البيئة . فالعميل يكون قلقاً، معرضاً لمضاعفات نفسية ودرك الحاجة للعلاج ويأتي هو للعلاج ذا بصيرة نامية أو قابلة للنمو، ويكون لديه عناصر قوة وقدرة على تقدير مصيره بنفسه وتحديد إشراف المعالج، فالعميل يكون أكثر استبصاراً ويتحمل قدراً أكبر من المسئولية والنشاط في العملية وفي الارشاد النفسي.
- **المعالج النفسي:** يشترط أن يكون المعالج نفسه متوافقاً نفسياً، دليه طابق بين مفهومه عن ذاته وخبرته وذاته المثالية، ولا يحتوي مفهوم الذات الخاص لديه على خبرات مهددة لا تتفق مع تنبيه الذات أو مع المعايير الاجتماعية، لديه شفافية وحساسية، يهتم بإخلاص العميل، يقبل ويشجع العميل ويفهم وجهات نظره كمستمع جيد وموجه بارع للمناقشة وبائع ناجح للصداقة متفائل وبشوش دائماً لا يتخذ موقف الواعظ أو الناصح أو المقيم للسلوك واسع الخبرة في علم النفس وفي كافة مجالات الحياة والمعالج عليه أن يستمع ويتقبل ويعكس مشاعر العميل ثانية إليه ليقوم العميل بفحصها بصورة أدق. أي أن المعالج يكون بمثابة مرآة مشاعر ينمي عن طريقها المريض . مفهوم ذات أكثر واقعية وادراكها أدق للواقع.
- **عقد العلاج:** ويلتقي المعالج والعميل ويحاول المحال والعميل تحديد ما يشبهه عقد العلاج أو اتفاقاً غير مكتوب وفي جو حيادي سمح يحددان الموقف العلاجي وأبعاده ومسئولية كل منهما.

ويفهم العميل أهمية التقارير الذاتية وأن أحسن نقطة لفهم سلوك الفرد هي من وجهة نظره هو من داخل اطاره الرجعي.

ويقول روجرز (1950) إن هدف الاستشارة النفسية قريب من هدف الإرشاد النفسي وهو مساعدة العميل على أن يساعد نفسه على حل مشكلاته وأن وظيفة المستشار النفسي هي مساعدة المستشير على أن يتخلص من انفعالاته المتعلقة بمشكلته حتي يستطيع أن يفكر بطرقة أوضح وأسلم حتي يستطيع التوصل إلى حل المشكلة، ونظرية روجرز تقوم على نظرية التحليل النفسي عند فرويد فعن طريق العلاقة الشخصية الوثيقة التي يعقدها المعالج مع العميل يشعر هذا العميل أنه مهم وأن ما يقوله له أو يحسه يجد من ينصت له ويناقشه معه ومن ثم يعيش الخبرات التي كانت له من جديد وانما بطريقة مختلفة يجد فيها نفسه ويتعرف على ما كان يهدده من هذه الخبرات وأسباب انكاره لها ولا يعود يخشي لأن تعاوده الخبرة أو أن يدخل خبرة مشابهة ويتفتح له العالم من حوله وهذه هي طريقة العلاج أن تقوم بتغيير مفهوم الذات إذ تستدعي هذه العملية خبرات الشخص في جلسة التحليل النفسي التي تخلو من أي تهديد ومن ثم يستطيع العميل أن يكشف عن مشاعره اللاشعورية ويرفعها إلى المستوي الشعوري ويتمثلها ويستلزم ذلك إعادة تنظيم مفهوم الذات أو الأنا ليتسق مع واقع هذه الخبرات، ويصف روجرز طريقته بأنها ظواهرية لأنها تشترط التكامل وصحة بناء الذات وأن تكون التصورات فيها متفقة مع

مكونات المجال الظاهري وذلك منتهي ما يمكن أن يبلغه ارتقاء الشخصية وإذا تحقق فإنه يمثل تحرراً من التوتر الداخلي والقلق وهذا هو حل الكمال في التوافق مع الواقع.

ويستند منهج روجرز على محور أساسي في العلاج هو أن سلوك المريض لا يمكن فهمه إلا من خلال وجهه نظر المريض وطريقة إدراكه لنفسه وللعالم أي أن المعالج عليه أن ينظر إلى المشاكل المطروحة من منظور المريض ويري العالم بعيوبه كما أن هذا السلوك لا يمكن تغيير إلا إذا كان المريض نفسه يرغب في هذا التغيير ومن ثم فالمعالج هنا لا يقدم تفسيرات أو توجيهات مباشرة بل هو يخلق مناخاً ودوراً صديقاً لا يشعر فيه المريض بتهديد حتي يتمكن من فهم طريقته في التفكير والتحق من طبيعة مشاعره الذاتية.

فالمعالج بأسلوبه الصديق والمتعاطف في الانصات يسعي إلى أن يعكس لمريضه مشاعره ويوضح أفكاره حتي يراها في صورة أوضح ويشجعه على أن يتولى زمام أموره، الأمر الذي يساعده علي النمو وعلى تكوين نظرة ايجابية لنفسه وعلى توجيه نفسه نحو نمط من السلوك أكثر إشباعاً وتحقيقاً للذات.

المهم هنا بالنسبة لروجرز تأكيده على المعالج الذي يحاول أن يخلق المناخ الملائم الذي يتمكن فيه المريض من الوصول بنفسه إلى حلول لمشكلاته بدلاً من اقتراح الحلول عن طريق التفسيرات والتوجيه المباشر . والواقع أن المناهج العلاجية قبل روجرز كانت دائماً تهتم فى الحل الأول بالإجابة على السؤال (ماذا يجب على المعالج أن يصل إليه؟) ولكنها أصبحت بعد ذلك تحاول الإجابة عن السؤال: وكيف يصل المعالج إلى مرماه؟

بعبارة أخري كان الاهتمام قبل روجرز بالاستراتيجية ولكنه أصبح بعد ذلك بالتكتيك ولا شك أن نجاح العلاج النفسي يعتمد جزئياً على قدرة المعالج في استخدام مهاراته الشخصية في العلاقة العلاجية ومن هنا كان التأثير الواسع لمنهج روجرز في الحقل الاكلينيكي، فقد ألح روجرز كثيراً في انتباه المعالج ودوره الهام في نجاح العملية العلاجية فقد تحدث عن طبيعة المناخ الذي يخلقه المعالج وقال إن عليه أن يضع نصب عينية فرضاً أساسياً وهو أن أي فرد لديه إمكانيات من الممكن أن تظهر فقط عندما يهيئ المعالج المناخ السيكولوجي المناسب هذا المناخ هو العلاقة العلاجية التي يعطي فيها المعالج جل انتباهه إلى مريضه ويتكون هذا الانتباه من الاستشعار Empathy والدفء Warmth والإخلاص Genuiness.

والمقصود بالاستشعار أن يحص المريض أن معالجة يسمعه ويفهمه ويحص بحاجاته ويقدر آلامه ويتفهم مشكلاته ويعبر بدقة عن آلامه ومخاوفه وصراعاته الشخصية.

أما المقصود بالدفء فهو المناخ الذي يشعر فيه المريض بالأمن والارتياح وهذا معناه أن يحس المريض أن معالجة يقدره ويقبل ما يقوله وما يفعله ولا يصدر أحكاماً على سلوكه أو يلقنه مواعظ وارشادات ولا يعتبر نفسه مسئولاً عن اتخاذ القرار ولا يفرض اتجاهات متسلطة بل يقف صديقاً متقبلاً ودوداً يظهر الاهتمام ويعبر بدقة.

أما الاخلاص فالقصد منه أن يسهل المعالج لمريضه كل السبل التي تجعله يتحدث بحرية وثقة وبأسلوب غير دفاعي فهذا معناه أن يبدو المعالج شخصياً موثوقاً به يعتمد عليه ويقول ما يعتقد أنه الصواب ويفعل ما يراه مناسباً.

وقد أوضحت بعض الدراسات الأمبريقية أن هناك علاقة ايجابية بين كمية النجاح العلاجي وبين تقديرات المعالجين لهذه العلاقة وفي هذه الأبعاد الثلاثة.

ومن اسهامات كارل روجرز الأساسية أيضاً أنه حتي تلاميذه وأتباعه على وضع الكثير من الفروض الذكية التي أفادت بالتالي مجموعة من البحوث الأمبريقية للتحقق من صدق هذه الحلول وقد أدت هذه الدراسات المنظمة إلى مزيد من الفهم العلمي لعملية العلاج النفسي، وفتحت الطريق أمام عدد هائل من البحوث العلمية في هذا المجال وتعبر هذه النقطة من اضافات روجرز الجوهرية.

إذا كانت النظرية انعكاساً للاتجاه الظاهري في الدراسات النفسية الذي يهتم أساساً بدراسة اسلوك من وجهة نظر الشخص نفسه الذي هو مركز الخبرة والبصيرة ولم يكن بمستغرب بالتالي أن ترتبط هذه النظرية ببعض الفنيات الذائعة الصيت في مجال العلاج النفسي، وفي مقدمتها (العلاج النفسي المتمركز حول العميل) فأساس طريقة كارل روجرز في هذا الأسلوب العلاجي يتمثل في أن معظم طرق السلوك التي يتبناها العميل هي اتي تتفق مع صورته عن ذاته وبالتالي يكون الأسلوب الأمثل في تغيير سلوك الفرد هو تغيير تصوره لذاته.

فقد قام حامد زهران بدراسة عن نظرية الذات والإرشاد العلاجي النفسي الممركز حول العميل، وأثبتت الدراسة أن مفهوم الذات يعتبر حجراً أساسياً في بناء الشخصية وأن مفهوم هام في الارشاد النفسي الممركز حول العميل لتؤكد أن مفهوم الذات مفهوم متعدد الأبعاد وتحدد الصفات التي تميز كل من مفهوم الذات الموجب ومفهوم الذات السالب وتؤكد أن مفهوم الذات الموجب يعبر عن التوافق النفسي والصحة النفسية وأن تقبل الذات يرتبط ارتباطاً جوهرياً موجباً بتقبل وقبول الآخرين وأن تقبل الذات وفهمها يعتبر بعداً رئيسياً في عملية التوافق الشخصي واعادته وأن تكون مفهوم الذات يتأثر بالعوامل الاجتماعية مثل اتجاهات الفرد نحو الآخرين واتجاهات الآخرون نحوه ومن ثم يجب على الوالدين والمربين والمرشدين أن يقدروا دورهم الهام والخطير في نمو مفهوم الذات عند الأطفال والمراهقين.

وبرزت العلاقة القوية القائمة بين مفهوم الذات والتوافق النفسي بأنه كلما كان الفرد سيئ التوافق انحطت نظرته عن نفسه وتأكد أن أحسن طريقة لفهم السلوك هي من الإطار المرجعي للسلوك نفسه كذلك يجب الالتفات إلى الأهمية القصوي للذات وإلى أهمية البيئة الاجتماعية.

وقد قام كل من بتلوهيج (1954) بدراسة أجرياها على مجموعة تجريبية تشتمل على 25 عاملاً تلقوا علاجاً نفسياً ومجموعة ضابطة مكونة من 16 عميلاً لم يتلقوا علاجاً نفسياً ولقد أجري اختبار على كل المن العينتين لمعرفة أوصاف مفهوم الذات والذات المثالية للـ 41 حالة قبل وبعدد العلاج النفسي وقد وضحت النتائج أن 22 حالة ممن بين الـ25 كانت أعلي في تقدير ذواتهم بعد العلاج عما كانت عنه قبل العلاج النفسي، في حين أن المجموعة الضابطة لم تتغير في نفس هذه الفترة.

ولقد ظهرت دراسة روبين (1967) عن ازدياد تقبل الذات كوسيلة لخفض التعصب استخدام فيها طريقة تدريب الحساسية أو سرعة التأثر وهو أحد أشكال التفاعل الجماعي ولقد أعطي لمفحوصيه بيانات قبل وبعد التدريب وذلك لتدعيم ما ذهب إليه بأن التدريب يمكن أن يؤدي إلى زيادة في تقبل الذات.

كما أشارت نتائج روبين أيضاً أن التعصب قد تلاشي نتيجة لهذا التدريب، كما أنه وجد علاقة ذات دلالة بين انخفاض مستوي التعصب والتغير الايجابي في تقبل الذات.

ومن الجدير بالذكر أن نتائج دراسة ايرنيثي استنتجت أن الإنسان قد يغير من تقديره في ذاته وذلك نتيجة للضغوط الموقفية التي يمر بها، وأن نتائج دراسة كل من ليفانوني (1954) ودراسة كوجان (1965) قد أظهرتا نفس النتائج التي توصلوا إليها أن مفهوم الذات يتغير تحت وطأة الظروف الضاغطة أو الظروف الموقفية الطارئة.

وهناك أساليب وتصنيفات حول اجراءات روجرز في العلاج.

أسلوب كيو في تصنيف البطاقات The- Q-sote technique

وتتم اجراءات تطبيق أسلوب كيو التصنيفي على النحو الآتي:

يزود المفحوص بمائة بطاقة تحتوي كل واحدة منها على عبارة كالعبارات الآتية:

- أنا ذكي
- كثيراَ ما أشعر بالذل
- لدي شعور باليأس
- أستطيع عادة أن أقرر شيئاً وأن أتمسك به
- أحتقر نفسي
- أعبر عن انفعالاتي بسهولة.
- لدي اتجاه نفسي موجب نحو نفسي

ويطلب من العميل أن يختار العبارات التي تصف ما هو عليه أفضل وصف، وهذا هو التصنيف بخصائص الذات الواقعية ولتيسير التحليل الإحصائي لنتائج تصنيف البطاقات يطلب من العميل أن يصنف البطاقات بطريقة أن يضع البطاقات ويوزعها في تسع مجموعات وهي مرتبة بحيث تتحدد البطاقات التي تحمل الصفات التي تشبه العميل أعظم شبه في طرف، ويوضع في الطرف الآخر البطاقات التي يقل انطباقها عليه إلى أقصي حد، أما العبارات التي توضع في الوسط فهي التي تعبر عن السمات التي لا يستطيع العميل أن يقرر ما إذا كانت تنطبق عليه أم لا تنطبق إنها العبارات الحيادية.

وهذا الاجراء يتيح للمعالج النفسي أن يفحص عدداً من خصائص العملية العلاجية، ويستطيع أن يفحص العلاقة بين الذات الواقعية والذات المثالية عند بداية العلاج وفي منتصفه وفي نهايته، والطريقة الشائعة للتعبير عن هذه المتغيرات هي باستخدام معامل الارتباط.

ولقد قدم لنا روجرز (1954) معاملات الارتباط الآتية بين تصنيف العبارات التي تصف الذات الواقعية وأحد العملاء قبل العلاج وتصنيفه في عدة نقاط خلال عملية العلاج.

- بعد الجلسة السابعة 50.0
- بعد الجلسة الخامسة والعشرون 42.0
- بعد العلاج 39.0
- بعد 12 شهراً من انتهاء العلاج 30.0

ومعاملات الارتباط السابقة تبين أن مفهوم الذات يتزايد اختلافه كلما تقدم في العلاج عن مفهومه لذاته عند بداية العلاج كما أن روجرز حسب معاملات الارتباط بين تقديرات مفهوم الذات الواقعية وتقدير مفهوم الذات المثالية في عدة راحل من العلاج وحصل على المعاملات الآتية:

- قبل العلاج 36.0
- بعد الجلسة السابعة 39.0
- بعد الجلسة الخامسة والعشرين41.0
- بعد العلاج 67.0
- بعد 12 شهراً من العلاج 79.0

ومعاملات الارتباط السابقة تبين بوضوح أن مفهوم الذات تشابه مع الذات امثالية مع التقدم في العلاج، مع استمرار هذا التشابه بعد انتهاء العلاج وبعبارة أخري لقد اقتراب العميل أو مفهوم ذاته من مفهوم ذات الشخص المثالي كما يراه وذلك على نحو تدريجي.

وواضح من البيانات السابقة أن العلاج حقق المعقود عليه من وجهة نظر روجرز.

ولقد استخدم عدة باحثين آخرين هذا الأسلوب لتقويم فاعلية العلاج وعلى سبيل المثال مان تيلر وهج Butler ad haigh وبدأ عام 1954 أن متوسط معامل الارتباط بين تقديرات الذات الواقعية وتقديرات الذات المثالية لخمس وعشرين حالة كان 0.01 قبل العلاج، وبلغ 0.31 بعد العلاج وهذا يوضح حدوث تغيير دال احصائياً في الذات الواقعية في اتجاه الذات المثالية.

وبالإضافة إلى أن روجرز من أوائل المعالجين الذين قاسوا فعلاً فاعلية العلاج فإنه أول من سجل جلسات العلاج بالصوت والصورة وقد فعل هذا بموافقة العميل حتي لا يعتمد على الذاكرة حيت يقوم يقوم ما حدث في الجلسة . وفضلاً عن ذلك فإن التسجيل والتصوير مكنا من التحليل الدقيق لنواحي مثل الايماءات الفيزيقية وأساليب التحدث المميزة باعتبارها مؤشرات تدل على معاناة العميل من القلق والضغط . وقد يبدو أن هناك تناقضاً ظاهراً فيما عمله روجرز ذلك أنه أصر على الطريقة الوحيدة لمعرفة الشخص هي أن يحاول فهم عامله الخاص، عالمه الذاتي، وفي نفس الوقت هو الذي قدم الكثير لتنشيط التقويم العلمي للعملية العلاجية.

تحليل المحتوي:

تعتمد هده الطريقة على تصنيف تغييرات العميل اللفظية التي تسجل في الجلسات في مجموعة من الفئات وقد قام ريمي أحد تلاميذ روجرز عام (1948) بتحليل للتغيرات الأساسية التي تطرأ على الإشارات إلي الذات أثناء العلاج، وقد صنف الاستجابات في الفئات الآتية:

- الإشارات الايجابية إلى الذات.
- الاشارات السلبية إلى الذات.
- الاشارات المتناقضة إلى الذات.
- الاشارات الغامضة إلى الذات.
- الاشارات غلى موضوعات وأشخاص خارجية. – أسئلة.

وصنف الاشارات الواردة في تسجيلات 41 حالة تمت مقابلتها في جلسات تراوحت ما بين جلستين وعشرين جلسة . ولقد اتضح من تحليل النتائج أن العملاء يصدرون عدداً كبيراً من الاشارات السالبة في بداية العلاج ومع تقدمهم يظهرون التذبذب في تأنيب الذات والاشارات المتناقضة . وفي نهاية العلاج تزداد الاشارات الموجبة.

كما اتضح من عدة بحوث أن الشخص الذي يصبح أكثر تقبلاً لنفسه يصبح أكثر تقبلاً للآخرين أيضاً، أي أن الشخص إذا حسن الظن بنفسه وكان راضياً عنها فالأرجح أن يحسن الظن بالآخرين ويرضي عنهم.

تقويم نظرية الذات لروجرز:

- وجد كثير من السيكولوجيين المهتمين بإرشاد الآخرين أن أفكار روجرز مفيدة في فهم ومعالجة مشكلات الناس ذوي الاضطرابات المتوسطة الدرجة وعقيدته فى الطبيعة الانسانية طريفة، فهو يعتقد أنه إذا سمح للناس أن ينمو نمواً طبيعياً فانهم يصيرون كائنات فعالة وايجابية وعقلانية يمكن الثقة في انهم يعيشون في تناغم مع الآخرين ومع أنفسهم.
- استطاعت وضع العميل في المركز الأساسي من عملية الرشاد بدلاً من المرشد فأصبح العميل النقطة الأساسية فى الإرشاد بشكل عام.
- أصبحت العلاقة في الارشاد المبدأ الأساسي والسبب الرئيسي المساعد على تغيير سلوك العميل.
- الاهتمام باتجاه ورغبة العميل أكثر من التركيز على الأساليب والطرق الفنية ف الإرشاد.
- أصبحت هذه النظرية مشجعة لإجراء الأبحاث العلمية في هذا الشأن.

المآخذ التى أخذت على النظرية:

- إن النظرية لم تبلور تصوراً كاملاً لطبيعة الإنسان وذلك لتركيزها الكامل على الذات ومفهوم الذات.
- يري روجرز أن الفرد له وحده الحق في تحقيق أهدافه وتقرير مصيره ولكنه نسي أن الفرد ليس له الحق في السلوك الخاطئ.
- يؤكد روجرز على أهمية الذاتية. وهو يركز عملية الإرشاد حول الميل. وذلك على حساب الموضوعية ويركز على الجوانب الشعورية على حساب الجوانب اللاشعورية ونسي أن الإنسان يستطيع أن يصل إلى الحقيق الموضوعية وأن الجوانب اللاشعورية لها أهميتها.

- يضع روجرز أهمية قليلة أو ثانوية للاختبارات والمقاييس كوسيلة لجمع المعلومات للإرشاد النفسي. واكتفي بأن أشار إلى أن الاختبارات والمقاييس يمكن أن تستخدم حين يطلبها العميل وأن المعلومات التي يحصل عليها المرشد فيها يمكن الحصول على أفضل منها عن طريق المقابلة ونسي أن على المرشد أن يستخدم جميع الوسائل الممكنة للحصول على أكبر قدر من المعلومات لتحقيق أكبر نجاح لعملية الإرشاد النفسي.

نظرية ماسلو

وحدة بناء الشخصية عند ماسلو:

وحدة بناء الشخصية عند ماسلو عي الزملة وقد عرفها بأنها "مركب منظم من الخصائص الظاهرة التنوع (عناصر سلوكية، وأفكار ونزاعات للفعل ومدركات.... إلخ) التي لها وحدة مشتركة.

فالفرد الذي ينخفض لديه تقدير الذات قد ينغمس فى أفعال وأفكار ومدركات تبدو في ظاهرها منفصلة ولا رابط بينها بالمرة، ولكن الدراسات والتعمق تكشف على علاقة دينامية بينها وبين محاولته استعادة تقديره لذاته.

خصائص الزملة الشخصية:

- إن اجراء الزملة يحل بعضها محل البعض الآخر أي أنها قابلة للتبادل فإذا بذل الفرد جهداً لينال الخطوة عند رئيسه في العمل وذلك لإشباع حاجته إلى الأمن ولم يفلح فإنه يستطيع أن يلجأ إلى عدد من المسارات الأخرى لتوفير الأمن النفسي لذاته.
- تتميز الزملة بخاصية الدائرية من حيث التأثير والتأثر وتتصل أجزاؤها كلها اتصالاً دينامياً، فالخوف من الآخرين ليس ببساطة سبباً للعداء نحوهم، كما أن العداء نحوهم ليس سبباً للخوف منهم.
- الزملة تقاوم التغيير، وتميل إلى المحافظة على نفسها، وأن تعيد ترسيخ نفسها بعد التغيير، غير أن الزملة حين تتغير فإنها تفعل ذلك ككل وليس جزئياً لأنها وحدة جشطلت.

الفردية:

يري ماسلو أن عال النفس الذي يدرس الشخصية غالباً ما يركز على الجوانب الفردية ويهتم بها كما يهتم بالخصائص المشتركة فكل إنسان يشبه الآخرين في بعض النواحي لكنه يتميز ويختلف عنهم في نواحي أخري ولا ينبغي أبداً التضحية بالنواحي الأخيرة سعياً وراء الانتظام والاطراد.

وكثيراً من علماء النفس الأمريكيين يدرسون الأفراد بغية التوصل إلى نواحي التشابه ويميلون إلى اعتبار نواحي الاختلاف أخطاء قياس ويبتكرون فئات يصنف فيها الافراد بدلاً من أن يعطي الفرد ما يستحق من تقدير كما لو كان فئة بمفرده. وإن هذه التجريدات الناموسية والتميمات مفيدة إذا ساعدتنا على إعطاء التفرد حقه أي إذا كانت بمثابة الأرضية أو الخلفية التي يبرز عليها الشكل، وينبغي أن نقدر على معرفة الفرد وفهمه في تفرده الرائع.

النمو عند ماسلو:

يعتبر ماسلو الوليد ليس صفحة بيضاء، كل وليد يجئ إلى هذا العالم وله طبيعته وإمكانياته الأساسية الداخلية ويصف ماسلو هذه الطبيعة بأن لها جذورها الغريزية وهذه الخاصية أميل إلى الضعف منها إلى القوة ويسهل التغلب عليها وكفها وقمعها من البيئات التي تكف عن النمو وهذه الطبيعة الداخلية ليست سيئة

ولكنها إما أن تكون حيادية أو خيرة . والنمو الصحي المشبع للطفل وتطوره لا يصدر من الخارج، أنه ليس ببساطة استجابات لمتطلبات بيئته فإن الطفل لا يدفع للأمام ولكنه يختار أن ينمو ويرتقي.

الضمير عند ماسلو:

اعتقد ماسلو أن مفهوم الإنسان باعتباره ذا جانب حيواني سيء، أو باعتباره صفحة بيضاء عند ميلاده قد أديا إلى القول بأن الضمير ينبغي أن يفرض عليه من الخارج وذلك بسبب الخوف من العقاب، هكذا نجد عند فرويد أن الأنا الأعلى هي تمثل الطفل لنواهي الوالدين خوفاً من الخصاء وإن الإخفاق في طاعة أوامر الضمير يؤدي إلى الخوف من العقاب، وموقف ماسلو كعادته في المسائل النظرية الأخري يعتبر وجهة نظر فرويد لا تمثل إلا نصف الحقيقة، ذلك أمن ماسلو يقترح بالإضافة إلى هذا الجانب من الضمير الذي ينتج عن المؤثرات الخارجية جانباً آخر ينبع من الداخل ومن الذات وفي نفس إدراك الطبيعة الداخلية الخارجية جانباً آخر ينبع من الداخل ومن الذات وفي ضوء إدراك الطبيعة الداخلية يقتضي الضمير الحقيقي أن نكون صادقين مع أنفسنا ومع امكانياتنا ومواهبنا وحاجاتنا الأساسية .. إن الذين يحققون طبيعتهم الداخلية يعملون ما هو خير لأنفسهم وللآخرين من منطلق الحب وليس من منطلق الخوف، إنهم يسعون لتحقيق الخير لأنهم يريدون عمله وليس عليهم أن يعملوه.

البيئة عند ماسلو:

يري ماسلو أن الشخصية تتفتح خلال النضج وعندما يصبح الإنسان عصابياً أو شريراً أو يائساً، فالسبب في ذلك أن البيئة قد جعلته كذلك بسبب الجهل والمرض الاجتماعى، إن الإنسان الخير يصبح شريراً لأن البيئة شريرة ويمكن للبيئة أن تلزم جانباً ولا تتدخل في تحقيق الشخص لذاته. فالعدوان والنزعة إلى التدمير ليستا صفتين أصليتين في الإنسان فهو يصبح محباً للمقاتلة نزاعاً إلى التدمير حينما تعاق طبيعتة الداخلية أو تقابل بالإنكار والإحباط وما يرفع الإحباط حتي يختفي العدوان.

ووجهة نظر ماسلو تؤكد على التنظيم باعتباره الحالة الطبيعية للكائن العضوي ويذهب إلى أن اختلال هذا التنظيم يؤدي إلى حالة مرضية ويرجع ذلك إلى البيئة غير المواتية . وأن الفرد يستطيع أن يحقق ذاته لو أتيحت له الفرصة بطريقة منظمة عن طريق بيئة مواتية وذلك أيضاً أدعي إلي أن تتطور الشخصية تتطوراً سليماً ومتكاملاً.

ومع ذلك فماسلو يقدم تصوراً هاماً في تفسير العلاقات بين الدوافع والفرص الي توفرها البيئة في تقرير قوة بعض الدوافع وسيطرتها على البعض الآخر كما أنه أبرز الجوانب الإيجابية في الدوافع الإنسانية.

السلوك عند ماسلو:

قسم ماسلو السلوك إلى قسمين: سلوك التصدي – السلوك التعبيري.

سلوك التصدي: هو سلوك غرضي لأنه يحاول تغيير البيئة أما السلوك التعبيري فغير غرضي ويغلب ألا تثيره دوافع وهو لا يستهدف تحقيق شيء معين على وجه التحديد.

سلوك التصدي يكون عادة متعلم ويعكس آثار الثقافة التي يعيش فيهال فرد والمواقف المباشر الذي يوجد فيه في حين أن السلوك التعبيري كثيراً ما لا يكون متعلماً ويتحدد في الأساس نتيجة لحالة الشخص.

سلوك التصدي يتطلب عادة الجهد ويسهل السيطرة عليه وكفه أو قمعه، أمال السلوك التعبيري فقد يحدث يغير جهد وصعب السيطرة عليه.

ومعني هذا أن سلوك التصدي سلوك تحدده الحاجة ويستهدف حل مشكلة كالسعي إلي مطعم لتناول طعام، أما السلوك التعبيري فيتحدد بحالة الشخص فهو يبتسم حين يكون سعيداً ويبكي حين يكون حزيناً.

دوافع القصور ودوافع الكينونة:

قد يسمي دافع القصور بدافع النقص أو نموذج خفض توتر الدافع، حيث تتضمن معظم حالات النقص شعوراً بالتوتر من النوع الذي يعرفه الفرد بخبرته عندما يحس بالبرد أو الجوع أو التعب وعندما نمر بحالة توتر من هذا القبيل فإننا نحاول خفض التوتر بارتداء معطف أو بالأكل أو النوم أو الشراب وخفض التوتر يشبع الدافع.

أما عن دوافع الكينونة التي رأس ماسلو أنها تسيطر على الذين حققوا ذواتهم تشتمل على الصدق والخيرية والجمال والوحدة الكلية، البعد عن التفكير الثنائي والحيوية والتفرد والاتقان والعدالة والنظام والبساطة والغني والشمول والاكتفاء الذاتي واكتمال المعني، وإذا لم يعبر الفرد عن هذه القيم يحدث حرمان مرضي وهذه القيم ليست مرتبة ترتيباً هرمياً ولذلك فلها قيم متساوية، ولكن بعضها يؤثر في البعض الآخر وأنه لكي يحقق الفرد ذاته فإنه في حاجة إلى أن يعبر عن هذه القيم جميعاً وعلى ذلك فقيم الكينونة حاجات عليا وسامية والإخفاق في إشباع هذه النوع من الحاجات يؤدي إلى ما يسميه ماسلو ميتا باثولوجي "ما بعد المرض".

وعلى ذلك فحاجات النقص لها الأولوية على حاجات الكينونة حيث الأول بدونها لا يعيش الإنسان ككائن ولكن الثانية يكون بها وجوده كإنسان وهي حاجات إثراء له وبها تنمو انسانيته تزدهر لهذا يسميها بحاجات الكينونة أي أن يكون إنساناً واشباع هذه الحاجات هو السمة الرئيسية عند العظام أو المحققون لذواتهم.

التظيم الهرمي للحاجات:

لقد ارتبط هرم ماسلو للحاجات باسمه كأنه ملازم له "وكانت هذه المساهمة تحقيقاً لفكرة نادي بها(أولبورت) من قبل وهي أنه إذا كان من الممكن أن تنسب سلوك الطفل إلى دوافع فسيولوجية فإنه من غير المعقول أن نفكر في هذه الحاجات كدوافع لسلوك الراشدين فالكثير من تلك الحاجات النفسية لا تظهر إلا متأخرة في الحياة"

ومن هنا فان نظرية ماسلو في الدافعية الانسانية تفترض أن الحاجات تنتظم في تدرج هرمي من الأولوية أو القوة وعندما تشبع الحاجات صاحبة القوة أو الأولوية فإن الحاجات التالية في التدرج الهرمي تبرز وتلح فى طلب الاشباع هي الأخرين وعندما تشبع نكون قد صعدنا خطوة أخري على سلم الدوافع.

قسم ماسلو الحاجات إلى قسمين:

- حاجات المحافظة على البقاء: مثل الحاجات الفسيولوجية أو الحاجات الأولية وهي حاجات موجودة في قاعدة الهرم.
- الحاجات النفسية أو ما بعد الحاجات الأساسية: وكذلك يطلق عليها حاجات النمو كالشعور بالأمن والانتماء والحب أو التقدير، وتحقيق الذات إلى أن تصل إلى الحاجات المعرفية والحاجات الجمالية.

ولا يتم تحقيق هذه الحاجات دون أن تشبع الحاجات الفسيولوجية، ومن الأشياء التي يمكنك تبنيها بوضوح إذا قمت بدراسة للأشخاص الأسوياء نفسياً أو أي قطاع بشري لهذا الغرض، هو أن الأشخاص المختلفين تحركهم دوافع مختلفة إلى هذا فإن للفرد الواحد دوافع كثيرة.

ويؤكد ماسلو من البداية أن الكائن الحي ككل هو الذي ينشط لتحقيق حاجات يبغي إشباعها وكثيراً ما سلك الفرد سلوكاً واحداً لتحقيق أكثر من حاجة .كما أن الحاجة الواحدة تتحقق بأكثر من سلوك أو عن طريق مراحل متعاقبة من السلوك . وهكذا تتعقد خريطة الدوافع والسلوك فالسلوك يتعدد في دافعيته، والحاجات والدوافع تشبع بأساليب سلوكية متعددة.

ولقد لخص ماسلو الفروق بين الحاجات العليا والحاجات الدنيا عام (1970) فيما يأتي:

- كلما ارتفعت الحاجة كان ظهورها متأخراً في عملية التطور.
- الحاجات العليا تحدث متأخرة في نمو الفرد.
- للحاجات العليا علاقة بالبقاء أقل من تلك التي للحاجات الدنيا.
- على الرغم من أن الحاجات العليا لا تتصل اتصالاً مباشراً بالبقاء إلا أن اشباعها مرغوب فيه بدرجة أكبر من إشباع الحاجات الدنيا.
- تتطلب الحاجات العليا شروطاً مسبقة أكثر من الحاجات الدنيا حتي تبزغ وحتي تشبع.

هرم الحاجات لماسلو:

الحاجات الفسيولوجية:

تتعلق هذه الحاجات بالحفاظ على الجسم باعتباره كياناً عضوياً حيوياً ومن الأمثلة الجيدة لهذه الحاجات : الحاجة إلى الطعام والماء والأكسجين والدفء، وعدم إشباع هذه الحاجات يؤدي إلى الموت واشباعها لا يضمن سوي الحياة العضوية المادية.

حاجات الأمن:

حين تشبع الحاجات الفسيولوجية يبدأ الفرد في اشباع حاجاته إلى الأمن والابتعاد عن الخطر: ويظهر الحاجة إلى تجنب ما يسبب فقدان الأمن والحاجة إلى أن يعيش الفرد في هدوء وطمأنينة.

حاجات الانتماء والحب:

كالحاجة إلي تلقي الحب والحاجة إلى منح الحب والحاجة إلى التعاطف مع الآخرين والحاجة إلى الانتماء وهذه الحاجة تقوم على الأخذ والعطاء.

ويري ماسلو إنه إن لم تشبع الحاجة إلى الانتماء والحب فإن الشخص يشعر بالوحدة والخواء والغربة والعزلة.

حاجات التقدير:

تتعلق هذه الحاجات باحترام الذات والشعور بالكافية (الكفاءة) الشخصة ورأي اخرين الذي يعبر عن الاستحسان، ويؤدي غياب هذا الاحترام إلى قمع رغبة الشخص في المشاركة والمساهمة الفعالة في عالمه ومناشطة.

وهذا النوع من المشاعر ينتج من الانغماس في الأنشطة التي تعتبر نافعة اجتماعياً.

حاجات تحقيق الذات:

ويقصد بتحقيق الذات التحقيق المستمر لإمكانيات الفرد وقداره ومواهبه باعتبار ذلك تحقيقاً لرسالة وأداء لها أو تلبية لدعوة أو قدر أو مصير أو مهنة "وكمعرفة تامة بطبيعة الشخص وتقبله لها وكاتجاه لا يتوقف نحو الوحدة والتكامل والتعاون داخل الشخص".

الحاجات المعرفية:

هي الحاجات المرتبطة برغبة الإنسان في تحصيل المعرفة وليس من الضروري لأن تكون الرغبة في المعرفة مرتبطة بتحقيق غايات نفعية ولكن للمتعة والإشباع الذي يحصل عليهما الفرد من المعرفة والكشف.

وكذلك تعتبر الحاجة إلى المعرفة من أدوات التكيف ولها بعض الوظائف مثل إشباع الحاجات الأساسية وحل المشكلات والتغلب على العقبات.

الحاجات الجمالية:

وهي قمة الحاجات الانسانية وعند هذا المستوي يكون الفرد قد أشبع جميع حاجاته ويمكنه حينئذ أن يستمتع بالتناسق والانسجام المتمثلين في القيم الجمالية فى الكون.

وقد وجد ماسلو أن هذه الحاجات في كل ثقافة وكذلك عبر التاريخ واعتقد ماسلو أن الحاجات الجمالية حاجات فطرية وأنها تعبر عن نفسها أكمل تعريف لدي الأفراد الذين يحققون ذواتهم.

وفي النهاية وقبل وفاة ماسلو قام بإدخال تعديل باستبدال مفهوم الذات بمفهوم الانسانية الكاملة ويري أن الانسانية الكاملة تتحقق في احتضان الفرد للقيم الانسانية، وأن يكون لديه القدرة على التجريد وأن تكون لديه القدرة على الحب والسمو.

ويري ماسلو أن الحاجات الفسيولوجية تنشأ من عدم إشباعها اضطرابات عضوية وإن لم تشبع الحاجات النفسية تؤدي إلى اضطرابات نفسية أنا القسم العليا فإن لم تتحقق أدي ذلك إلى اضطرابات روحية.

إن التنظيم الهرمي لا يبدو أن يحكم سلوك الأفراد فقط ب وسلوك الجماعات والشعوب أيضاً فالجماعات الفقيرة يكون دافعها الأساسي البحث عن الطعام بينما نجد في الجماعات الغنية دوافع أخري أعلي في التظيم الهرمي.

ومن الأعمال المميزة لماسلو اهتمامه بالمحقين لذواتهم:

الخصائص المميزة للمحققين لذواتهم:

إذا كان ماسلو قد وصل في قمة التنظيم الهرمي للحاجات إلى الحاجة لتحقيق الذات، وأكد في عدد من أبحاثه على دراسة الأصحاء والأسوياء لكنه وسع دائرة اهتمامه بدراسة أولئك الأشخاص المتمتعين بدرجة عالية من الصحة النفسية ولذلك فإن أهم جوانب إنجازه تظهر في دراساته لصفات الأفراد الذين يتسمون بتحقيق الذات.

كما اهتم ماسلو بدراسة الشخص المحقق لذاته ويذكر أنه ينبغي أن يكرس علماء النفس وقتاً أكثر للدراسة المتعمقة للشخص الفريد الواحد ويري أن علم النفس هو العلم الوحيد الذي لا يدرس أوجه التشابه فقط بل يقوم بدراسة الفردية.

ويري ماسلو أن المحققين لذواتهم هم أولئك الذين يطورون إمكاناتهم إلى أقصي درجة.

وأن عملية الذات عملية مستمرة ودؤوبة ولم تتوقف أبداً وليس لها نهاية ولذلك وصفهم بأنهم يحققون لذواتهم وليس أنهم قد حققوا ذواتهم.

ويذكر ماسلو أن معظم الناس يمرون بلحظات استثنائية من تحقيق الذات أسماها ماسلو بالخبرة القيمة: وهي خبرة وجودية تتميز بالسعادة والتحقيق والإنجاز، أو حالة مؤقتة من الكمال وتحقيق الهدف والوصول إليه.

كما وصفها ماسلو بالتجارب القيمة أو تجارب الذروة وأنها التجارب الأروع في حياة الفرد. توجد عندما يعاني الفرد التجربة القيمة يحس أنها أكثر تكاملاً وأشد انسجاماً مع الكون وأقصي عقوبة وأقل وعياً بالمكان والزمان وأكثر تميزاً وحساً، وتحدث الخبرة القيمة في مستويات مختلفة وفي سياق متعدد مثل الأنشطة الإبدعية، تقدير الطبيعة والإدراكات الجمالية، والمشاركة في الألعاب الرياضية.

تعريف ماسلو للمحققين لذواتهم: هم أناس بدون استثناء يلتزمون بأهداف معينة في حياتهم، ويكافحون في حياتهم قي سبيل هذه الأهداف ويشعرون بأنهم خلقوا لتحقيق هذه الأهداف، وأن هذا هو قدرهم وقد يفني البعض منهم حياته في سبيل القيم الخالدة أو قيم الوجود مثل الخير والحقيقة والعدل والجمال.

وقد قام ماسلو ببحث متعمق وشامل لجماعة من الأشخاص حققوا ذواتهم وهم أشخاص يندر وجودهم وقد وصلوا إلى نسبة 1% من المجتمع فكان من بين من قام بدراستهم بعض الشخصيات التاريخية

مثل ابراهام لينكون وجفرسون وبيهوفن . وكان البعض الآخر لا زال على قيد الحياة عندما قام بدراستهم مثل روزفلت وأينشتين . وقد درسهم ماسلو دراسة إكلينيكية لاكتشاف الخصائص المميزة لهم عن بقية الناس العاديين، كما أنه قام بدراسة بعض من طلابه ومعارفه المميزين.

وقد ظهر اهتمام ماسلو بالذين يحققون ذواتهم عندما أعجب بأستاذين من أساتذته هما رث بندكت وماكس فرتيمر ووجد بينهم جوانب كثيرة مشتركة.

ولقد انتهي ماسلو من بحثه إلى أن الذين يحققون ذواتهم يظهرون الخصائص الآتية:

- أنهم يدركون الواقع إدراكاً صحيحاً وتاماً: ومدركاتهم لا تتخذ لوناً بسبب حاجات معينة أو حيل دفاعية، وبعبارة أخري أن إدراكهم للعالم يتميز بأنه إدراك كينونة وليس إدراك حاجة أو نقص.
- تقبل الذات والآخرين والعالم بوجه عام: عن لديهم فكرة واضحة عن نواحي القوة والضعف في نفسهم وفي الآخرين، ولكن قبولهم لها حيادي، ولا يكون هناك تصرف انفعالي من حيث تفسير العيوب أو الأخطاء تفسيراً مغلوطاً، ثم يتم تجاهلها إن هناك اعترافاً بها، فهي موجودة واتخاذ موقف انفعالي سوف لن يغير معظم هذه الأخطاء.
- أنهم يتميزون بالتلقائية والبساطة والطبيعة: إنهم يعبرون عن أنفسهم بصراحة وأمانة اللهم إلا إذا كانت الصراحة تؤدي بالضرورة إلى إيذاء مشاعر شخص آخر، انهم لا يخافون من التعبير عن آرائهم وأحكامهم المستقلة.
- إنهم يميلون إلى الاهتمام بالمشكلات وليس الاهتمام بأنفسهم: إنهم يلتزمون عادة بإنجاز ما يتصدى له من عوامل لتحقيق هدف أو للدفاع عن قضية أو خدمة رسالة، ويوجهون معظم طاقاتهم لهذا. ويقابل هذا الانشغال بالذات الذي كثيراً ما نجده فيمن لا يحققون ذواتهم.
- الميل إلى الخصوصية والعزلة: من المعروف أن كراهية بعض الناس للخصوصية أو العزلة، أما المحققون لذواتهم، فيحبون العزلة وأن يخلوا الانسان بنفسه أحياناً، ولما كان الذين يحققون ذواتهم يعتمدون على قيمهم ومشاعرهم في توجيه حياتهم فانهم عادة لا يحتاجون إلى احتكاك مستمر مع الآخرين.
- وهم مستقلون ذاتياً وبالتالي يميلون إلى الاستقلال عن بيئتهم وثقافتهم: إن المحققين لذاتهم مدفوعين بدوافع الكينونة وليس بدوافع النمو أكثر اتكالاً على عالمهم الداخلي منه على عالمهم الخارجي بمعني أن المحققين لذاتهم صاروا من القوة بحث يستغنون عن رأس الآخرين الجيد فيهم أو حتي من عاطفتهم وحبهم فيكون اهتمامهم الأول هو النمو الداخلي وتطوير الذات وارتقائها.
- انهم يظهرون تذوقاً مستمراً ومتجدداً: إن المحقيين لذواتهم يجدون متعة متجددة في خبراتهم فكل وليد وكل شروق جميل بالنسبة لهم كأنهم يرونه لأول مرة.
- إن لهم خبرات شبه صوفية أي خبرات سامية: لا تخلو حياة المحققين لذواتهم من مناسبات النشوة الغامرة، الشبية بالوجد، أو الانجذاب الصوفي، حيث يشعرون بقوة عظيمة وتسام أو تجاوز لذواتهم (أكثر نسبياً مما يحدث لغيرهم).

- أنهم ينمون علاقات بين شخصية عميقة مع عدد قليل من الأفراد: المحققون لذواتهم يصطفون أصدقاءهم من بين من على شاكلتهم وصداقاتهم عميقة فصداقاتهم قليلة في العدد ولكنها عميقة وخصبة.
- أنهم يميلون إلى التوحد مع الإنسانية كلها: إذا أردت أن تعرف موضع كل إنسان فإن عليك الرجوع إلى وجهات نظرهم عن العالم وهل يشاركون الآخرين بعض النظر عن أشكال ضعفهم وفشلهم.
- إنهم يميلون إلى تقبل القيم الديمقراطية: يتصفون بالانفتاح الكبير والصراحة الحقة والتلقائية في علاقتهم مع الآخرين، ولا أثر لإحساسهم بالتفوق في تعاملهم مع الآخرين أي أن طرقهم في التعامل مع الآخرين لا تعكس الشعور بالتفوق أيا كان هؤلاء الآخرون.
- انهم مبدعون ومبتكرون: لقد وجد ماسلو هذه السمة في جميع المحققين لأنفسهم إنها خاصية تميز بصفة عامة جميع الذين درسوا أو لوحظوا من هذه الفئة، وهم يتصفون بالأصالة والإبداع بطرق تتجاوز الطرق الفنية والتقليدية وتعبر أنشطتهم وانجازاتهم عن أصالة وحداثة. ولا يخافون من ارتكاب الأخطاء في المواقف الجديدة.
- أنهم يقاومون التطبيع الثقافي: بسبب فرديتهم فهم يقاومون الضغوط التي تؤدي بمعظمنا إلى التسليم بقيمنا الثقافية ويعملون على تغيير بعض القيم من أجل أن تتوافق مع موافقة، فالقيم ليست أشياء جامدة ولكنها قابلة للتغير.

وقد وجد ماسلو بعض الخصائص السليمة أيضاً للذين يحققون أنفسهم: من هنا يوضح ماسلو أن الذين يحققون أنفسهم لن يبلغوا الكمال فيذكر ماسلو أن لديهم عادات سخيفة كما أنهم مملين عنيدين يثيرون ضيق للآخرين وهم ليسوا متحررين من غرور سطحي وتحيز وعجب بالنسبة لإنتاجهم ولا يتسمون بمجاملة الآخرين في سلوكهم أحياناً، ونوبات الغضب ليست نادرة لديهم.

كيف يتم تحقيق الذات:

يتم ذلك من خلال مراجعة الذات والتفاهم معها، فعليم أن تعتبر الخيارات والدوافع بصدق وأمانة واختر مع قبول درجة من المحاولة والخطأ، الأسلوب الأكثر انسجاماً مع ذلك.

هذا بالإضافة إلى إشباع الحاجات الفسيولوجية وحاجات الأمن والحب والانتماء فيجب أيضاً أن تتيح البيئة للفرد أن يحقق ذاته من خلال حرية التعبير وحرية الفرد في أن يعمل طالما أنه لا يؤذي أحدا وحرية الدفاع عن النفس والنظام والعدالة والاستقامة ، وقد أضاف إليها فيما بعد التحدي أو الإثارة المناسبة كخاصية للبيئة التي تيسر تحقيق الذات.

لماذا لا يشيع تحقيق الذات:

يفسر ماسلو هذه الحقيقة على النحو التالي:

- لما كان تحقيق الذات على رأس التنظيم الهرمي للحاجات فهو إذن أضعف هذه الحاجات ويسهل إعاقتها.
- معظم الناس يخافون الوصل إلى معرفة النفس التي يتطلبها تحقيق الذات.

- يمكن أن تقمع البيئة الثقافية ميل الفرد نحو تحقيق ذاته لأنها تفرض معايير معينة على قطاعات من المجتمع السكاني.
- ولكي يحقق الفرد ذاته ينبغي أن يختار النمو على الأمان.

التطبيقات التربوية للنظرية:

في مجال التربية يجب أن يعي المدرس بالحاجات التي يحسها تلاميذه فمثلاً هناك بعض الحاجات البيولوجية الأساسية يجب إشباعها فأطالب الجائع أو العطشان سيكون من الصعب عليه التركيز في الدرس والأمر بالمثل مع لمدرس، وكذلك الحال بالنسبة للحاجات النفسية التي تتطلب رعاية من المدرس كالحاجة إلى الود والانتماء والانجاز وتحقيق الذات ولا ريب أن المدرسين الذين يستطيعون إشباع مثل تلك الحاجات سيكونون أكثر نجاحاً من غيرهم . ولا شك أنه يمكن استخدام الكثير من النشاطات الصفية في اشباع الحاجات النفسية ولا يجب أن تكون هذه الأنشطة بسيطة لدرجة الملل أو معقدة لدرجة الفشل بل يجب أن تكتسب معني أو أهمية في حياة التلميذ كما يجب أن يكون معلوماً أن دور المدرس في إشباع تلك الحاجات هو دور معاون إذ أنه يسهل لتلاميذه تحقيق هذه الحاجات الموجودة لديهم.

نظرية الحاجات لماسلو بين النظريات

نظريتي روجرز وماسلو : بمقارنة نظريتي روجرز وماسلو يتضح أنهما تخلفان في قضايا كثيرة ومع ذلك فإنهما تشتركان في الكثير أيضاً، والموضوعات التي يجتمع عليها روجرز وماسلو تعد تمثيلاً جيداً للموضوعات التي يشترك فيها كل العاملين تحت لواء علم النفس الانساني.

فنجد أن كلاً من روجرز وماسلو يؤمنا بعلم النفس الانساني عموماً ايماناً راسخاً بالقوة الجوهرية للطبيعة الانسانية وخبرتها، فالإنسان يولد مزوداً بدوافع للنمو والابداع والحب ولديه قوة لتوجيه حياته الخاصة وإذا ما توافرت البيئة المناسبة فإن كل الناس لديهم القدرة على تحقيق هذا الوعد.

ووجد أن هذه الفرضية الايجابية عن الطبيعة الانسانية ذات فعالية في مواقف كثيرة ومن أمثلة ذلك ما وجد روجرز وغيره من العاملين في ميدان علم النفس الانساني أثناء تعاملهم مع كثير من الناس الذين يرجعون إليهم طلباً للمساعدة والعلاج النفسي، حيث يلح المعالجون على أن يتلمس عملاؤهم موطن قوتهم وأهدافهم الخاصة إذ يجب عليهم أن يبحثوا بأنفسهم عن علاج لمشاكلهم، فإن عالم النفس بإمكانه أن يقدم المعونة ولكنه لا يستطيع قيادة العميل إلى الاحساس بالصحة ويستجيب الكثيرون لهذا النوع من العلاج ويبدو عليهم أنهم يحقون تقدماً ملموساً وهنا اتجاه موازي يمكن أن يستخدم في مكان العمل فإذا عومل المستخدمون على أساس أنهم لا يتحملون المسئولية وكسالي وكما لو أن دوافعهم إلى العمل دافع مادي فقط فانهم سوف يعملون بما ينسجم مع هذه التوقعات وهذا ما دعا ماسلو إلى وجوب توقع النشاط من قبل العاملين وأنهم مدفوعون بدوافع الابداع والجمال وكذلك لأجل المردود المالي، واذا عوملوا وفق هذا النمط فانهم سيصبحون أصحاء نفسياً وأكثر فاعلية في ميادين العمل . قد وجد أن هذا الأسلوب ذو مردود فعال. وبالطبع لا يمكن حل جميع مشاكل العالم بافتراض فروض ايجابية عن الانسان ولكن كثيراً من هذه الفروض الايجابية ذو دور ايجابي بالفعل.

ويفترض علماء النفس الإنساني أيضاً أن الخبرات الذاتية (الشخصية) هي أهم الجوانب في كون الفرد إنساناً ورغم أن خبرة الفرد الذاتية والخصوصية قد لا تعكس "عالم الواقع " بطريقة صحيحة فليس بإمكان هذا الشخص أن يتصرف إلا في ضوء خبرته الشخصية والفهم الأمثل للسلوك الإنساني هو ذلك الذي يقوم على فحص ما يشعر الناس به وما يعتقدونه وليس بمعرفة ما يجري فعلاً في البيئة المحيطة بهم.

اختلاف ماسلو مع فرويد:

- يري ماسلو أن التحليل النفسي نظر إلى الانسان باعتباره ضحية لغرائز حيوانية ولصراعات أثارتها الحضارة في نفسه إنما كانوا يحدثونا عن جانب واحد من جوانب الحقيقة.
- ويري ماسلو أن أكبر خطأ وقع فيه فرويد أن تصور أن اللاشعور هو موطن للشر وكل مرفوض، ويذكر ماسلو أن اللاشعور كما نراه يحتوي أيضاً على جذور الابتكارية والخير والقيم والخلق الانساني.
- ويذهب ماسلو إلى أن فرويد حاول أن يربط بين جميع الأنماط السلوكية بما في ذلك الأعراض المرضية والأحلام وبين الدوافع الغريزية، وقد قام فرويد باستقصاء بحث فيه عن الدوافع وراء الأحلام المزعجة إلى افتراض غريزة الموت.

ويري ماسلو هنا أن السلوك قدي يرجع إلى سلوك تعبيري أو إي سلوك التصدي وليس إلى الغرائز والأنماط السلوكية غير المدفوعة.

تقويم النظرية:

استخدم ماسو في اختياره للأشخاص المحققين لذاوتهم محكان غامضة وعند النظر إلى هذه الشخصيات قد نجدهم قد نجحوا في مجالات ولم ينجحوا في الأخرى.

مثال: أن بعض الأشخاص الذين عرفوا باهتمامهم بتقدم الإنسان ورفاهيته لم تكن لديهم علاقات اجتماعية مرضية مع أزواجهم أو ابنائهم وهناك مثالان لكل من "إلينور روزفلت"، إبراهام لنكولن" اللذان حققا إمكاناتهما في بعض مجالات الحياة على حين أهملوا مجالات أخري.

إن ترتيب حاجات الهرم قد يكون عكسياً لبعض الحاجات فالثائر السياسي قد يعرض حياته للمخاطرة (الحاجة للأمن) لكي يؤصل ويعزز أفكاره المثالية (الحاجة لتحقيق الذات).

وعلى هذا فإن التسلسل الهرمي مقيد ولكنه لا يجب أن يستعمل بطريقة متصلبة ومطرفة دون تفكير. أي أنه قد يصبح أفراد منتجين مبتكرين حتي ولو لم تشبع حاجاتهم الأساسية.

تعرض ماسلو لنقد مؤداه أنه لم تلتزم بالمنهج العلمي واستخدام أساليب بحثية غير موثوق بها وغير مضبوطة في نتائجها عن المحققين وقد اختار عينته للمفحوصين وفقاً لمحاكاته الحدسية.

رفض ماسلو لعلم النفس الذي لا ينظر إلى الأسوياء وينظر لغير الأسوياء، قد يوضح لنا أنه يجب دراسة الأسوياء فقط اهتم بعض العلماء بإبراز أهمية الدوافع الفسيولوجية وتأثيرها في السلوك والبعض الآخر انشغل بالشروط والملابسات التي تسهم في تعرض البشر للعصاب والذهاب.

مما لاشك فيه أن جهود ماسلو بالإضافة إلى جهود روجرز وأولبورت قد خلقت قوة ثالثة في علم نفس وهي علم النفس الانساني.

نظرية كاتل

السمات الرئيسية لنظرية كاتل:

يلاحظ أن نظريات كل من فرويد ويونج وروجرز، نظريات إكلينيكية، أي أن المعلومات التي بنيت عليها جاءت من ملاحظة الافراد في العلاج.

ومع أن الملاحظات كانت منتظمة والأسلوب العلمي المتبع معترف به، إلا أن هؤلاء المنظرين لم يعرفوا مفاهيمهم إجرائياً ولم يختبروا فرضياتهم ولم يقيسوا ملاحظاتهم.

أما نظرية كاتل في الشخصية، فهي ليست نظرية إكلينيكية لكنها في نفس الوقت ليست تجريبية بالمعني الضيق . بل تأخذ نظرية كاتل من التجريب التعريف الإجرائي للمفاهيم واستخدام القياس، كما أنها تأخذ من الاكلينيكية تأكيدها على الفروق الفردية وفعاليات الفرد ككل . وتقوم نظرية كاتل على استعمال الوسائل الإحصائية وعلي رأسها التحليل العاملي . وهي معروفة باستخدام الاختبارات وبنائها.

- فهي تمثل اتجاه التحليل العاملي للشخصية ورغم أنها ليست الوحيدة في هذا بين النظريات، فهناك مثلاً نظرية ألبورت ونظرية أيزنك اللتان تقعان في إطار هذا الاتجاه أيضاً إلا أن نظرية كاتل أكثر شمولاً، لأنها تلتقي مع نظرية أيزنك في تأكيدها على التصنيف وأهمية الدراسات الموسعة في الشخصية.
- كما أن نظرية كاتل تمثل الجسر بين النظريات الإكلينيكية والنظريات التجريبية فقد عرفت بأنها تستخدم مختلف المقاييس في الشخصية وهي بذلك تساعد على التعرف على الرابطة بين النظرية والتقييم والبحث.

السلوك الإنساني:

إن هدف علم النفس ونظرية الشخصية هو صياغة القوانين التي تمكنا من التنبؤ بالسلوك في ظل ظروف كثيرة . وتعريف كاتل للشخصية يقوم على التنبؤ "الشخصية هي تلك التي تتيح لنا تنبؤاً بما سوف يعلمه الشخص في موقف معين" ويؤكد كاتل على أن هناك متغيرات دافعة كثيرة ينبغي أن نحددها ونوضحها بعناية . وهو يدرك أن نظرية الشخصية ما تزال انتقالية أي في مرحلة التكوين . وهو يعتقد أن أصحاب نظريات المعاصرين الشخصية قد أهملوا الجوانب الوراثية في الشخصية الإنسانية . وهو يؤكد في بناء الشخصية على أهمية الخلفية البيولوجية والمحددات الاجتماعية . ولقد نما اهتمام كاتل بنظرية الشخصية وديناميا‌تها من خلال البحوث المستمرة التي قام بها وما أسفرت عنه من نتائج ولم يصدر عن تفكير تأملي.

ويشعر كاتل بقوة أنه إذا لم يكن في الامكان قياس الشخصية تجريبياً والتعبير عن ذلك كمياً فإننا ينبغي أن نطلق على ما نتوصل إليه فلسفة أو فناً، ولا يمكن أن نطلق عليه نظرية في الشخصية . وهو لا يقصد بالتجريب هنا تجريباً باستخدام أجهزة ومعدات معملية، وقد بين ذلك في ندوة عقدت في كنتكي عام 1954م فقال: "إنا ندع الوقائع تحدث في الحياة ثم نعالج بالدقة الإحصائية ما لا نستطيع معالجته بالضبط

التجريبي الصارم" وفي نفس الندوة يجادل مبنياً أن علم النفس ينبغي أن يجيب على الأسئلة الصغيرة أولاً قبل أن يحاول الإجابة على الأسئلة الشاملة. وقد تكون العيادة النفسية هي أفضل مكان لدراسة الشخصية، ولكنها ليست أفضل مكان للتحقق من صحة الفروض التي تتنبأ بتغير السلوك، لأن طرقها ضعيفة ولا تلتزم بضبط المتغيرات في القياس ولا بالتحليل الإحصائي الحاذق.

وهناك فرق في نظرية الشخصية وبين ما هو مقبول اجتماعياً وما هو محترم علمياً . وهكذا فان التغير الذي قد يطرأ على الشخص خلال العلاج قد يكون مقبولاً تماماً من قبل المجتمع ولكنه مع ذلك لا يمكن الراهن عليه بأي ثبات علمي. وكاتل يتبني موقفاً قوامه: الدراسة المركزة للشخصية والتي ينبغي أن تتم في مواقف الحياة، وبعد جمع الحقائق والبيانات ينبغي أن تعالج إحصائياً وليس فلسفياً.

وقد كتب كاتل عام 1957 مقالاً عن قائمة عامة أو فهرس للعوامل النفسية A Universal Index For Psychological Factors ، ودعي في هذا المقال إلى البحث عن رموز مقننة لوصف البيانات النفسية حتي نتوصل إلى تحديد للمفاهيم وتطوريها.

ويمكن أن تضع هذه القائمة لجنة تحدد معايير للبحث الدولي، وأن تنشر هذه المعايير بحيث تتيح لكل دارس للعوامل المشتركة في الشخصية أن يعمل مستخدما لهذه الأطر، ولقد أقلقت هذه الرغبة وهذا الحماس والسعي للوصول إلى لغة مشتركة بين الباحثين في هذا المجال وخاصة أن كاتل نفسه استخدم في البداية حروفاً لتسمية بعض العوامل التي توصل إليها في دراسته، ثم مضي في العشرين سنة الأخيرة إلى بلورة مفاهيمة وتسميتها، ثم تغيير هذه التسمية مرة ثانية.

بناء الشخصية عند كاتل:

لما كان اهتمام كاتل ينصب بالدرجة الأولي على التصنيف لعناصر الشخصية ومكوناتها فإن من المتوقع أن تمثل مظاهر البناء مركز نظريته في الشخصية.

إن العنصر الأساسي في بناء الشخصية لدي كاتل هو السمة Trait، وتعد السمة بالنسبة له بياناً عقلياً أو استنتاجاً تقوم به من السلوك الملاحظ لتفسير انتظام أو اتساق هذا السلوك، وليس المقصود باصطلاح بنيان الدلالة على الحالة الفيزيقية أو العصبية، برغم أن كاتل كان صريحاً نسبياً في ابرازه للمصاحبات الفيزيقية والفسيولوجية التي تمكن وراء السلوك.

أنواع السمات وأشكالها:

اعتمد كاتل على فنيات التحليل العاملى في تحديد السمات التي تنتظم بها الشخصية، وقد تمخض عن المنهج العلمي (الذي يعتبر بحق إسهامه فذا في الدراسات النفسية عامة والشخصية خاصة) سمات متعددة تجسدت في اختبارات عن "عوامل الشخصية" نسبة إلى طريقة التحليل العاملي التي حدد بها "تجمعات" سمات الشخصية.

وقد صنف كاتل السمات بأكثر من طريقة، من أبرزها التصنيفات التالية:

من حيث العمومية:

يميز كاتل بين نوعين من السمات .. سمات فريدة وسمات مشتركة Unique Traits And Common Traits يتفق كاتل مع جورن ألبورت في أن هناك سمات مشتركة يشارك فيها الأفراد جميعاً أو جميع أعضاء بيئة اجتماعية معينة، وهو يوافق بالإضافة إلى ذلك – على أن هناك سمات فريدة لا تتوافر إلا لدي فرد معين ولا يمكن أن توجد لدي أي شخص آخر في هذه الصورة بالضبط . وهو على أي حال يمضي خطوة أبعد مقترحاً تقسيم السمات الفريدة إلى سمات فريدة نسبياً وسمات فريدة جوهرياً بحيث تستمد الأولي تفردها من فروق طفيفة في ترتيب العناصر التي تكون السمة، في حين يتسم الفرد في الأخيرة بسمة مختلفة أصلاً ولا يتسم بها أي شخص آخر.

من حيث الشمولية:

هناك نوعان أساسيان من السمات وهما سمات المصدر source Traits وسمات السطح Surface Traitsهي تجمعات من الوقارات الشخصية. إنها عبارة عن خاصيتين من نوع ما ترتبط إحداهما بالأخرى وارتباط هاتين الخاصيتين يمكن أن يكون له أسباب عديدة . أما سمات المصدر فهي أسباب السلوك. إنها تشكل أهم جزء في بنية شخصية الفرد وهي مسئولة في النهاية عن جميع العناصر المتسقة في سلوك الفرد وهكذا فإن كل سمة سطحية مسببة ومعلولة لسمة أو أكثر من سمات المصدر، وسمة المصدر يمكن أن تؤثر في عدة سمات سطحية.

والبحث عن سمات المصدر عند كاتل يبدأ بقياس كل شيء يستطيع المرء أن يقيسة لدي مجموعة كبيرة من الناس، ثم يحسب معامل الارتباط بين هذه القياسات وتحلل هذه الارتباطات والتحليل العنقودي Cluster Analysis لها يزودنا بمعلومات عن سمات المصدر.

وثمة طريقة أخري لوصف الفرق بين سمات المصدر وسمات السطح وهي أن نقول إن الأخيرة دائماً ما تكون مظاهر الأولي . ويمكن اعتبار سمات المصدر عناصر الشخصية من حيث أن كل ما نعمله يتأثر بها . وينتهي كاتل إلى القول بأن جميع الأفراد يمتلكون نفس سمات المصدر ولكنهم يحورونها بدرجات مختلفة. وعلى سبيل المثال فإن جميع الناس لديهم ذكاء (سمة مصدر) ولكنهم لا يمتلكون نفس القدر من الذكاء وتؤثر قوة سمة المصدر هذه لدي فرد معين في كثير من الأشياء التي تتعلق به. فهي تؤثر على سبيل المثال فيما يقرأ وفيمن يتخذ من الأصدقاء وفي العمل الذي يتكسب منه عيشه وفي اتجاهه نحو التعليم الجامعي . وجميع هذه المظاهر الخارجية لسمة المصدر (الذكاء) هي سمات سطح ويمكن أن نسوق مثالاً آخر يتعلق بالجوع . فجميع ما يعلمه الشخص كاستجابة للجوع وكذهابه إلى المتجر وشراء الطعام والعودة إلى البيت وإعداد الطعام وتناوله، هي كلها عناصر سلوكية قابلة للملاحظة وتتصل بتناول الطعام تمثل سمات السطح، بينما حافز الجوع الذي سببها جميعاً يمثل سمة مصدر، غير أن أمثلتنا مضللة إلى حد ما، لأنه يصعب أن نجد شيئاً يعمله شخص يمكن أن يكون مسبباً بسمة مصدرية واحدة.

وننتقل الآ إلى اسهام من أهم اسهامات كاتل وأكثرها صعوبة وتعقيداً في مجال نظرية الشخصية . أن القائمة الآتية وهي قائمة سمات مصدرية هي نتيجة لقدر هائل من التحليل العاملي لبيانات جمعت عن الشخصية خلال خمس وعشرين عاماً. وإحدى صعوبات معالجة هذه المادة أن كاتل لم يسم السمات في المبدأ بل ميزها باستخدام حروف أبجدية وذلك لأنه شعر بأن اللغة لا تجيد التعبير عن المفاهيم السيكولوجية التي توصل إليها من التحليل العاملي لأداء الإنسان . وعبر السنوات وضع لهذه السمات المصدرية أسماء وتعرض للنقد فعدل الأسماء تدريجياً لتصبح من التسميات المألوفة.

العوامل الستة عشر أو السمات المصدرية

العامل أ A السيكلوثيميا اجتماعي	مقابل الشيزوثيميا
العامل ب B الذكاء العام	مقابل الضعف
العامل ج C الثبات الانفعالي أو قوة الأنا. القدرة على إحداث التكامل المباشر والتحكم فى الدفعات الانفعالية والاستجابات البدنية.	مقابل عدم الاتزان الانفعالي
العامل د E السيطرة أو السيادة	مقابل الخضوع
العامل ه F غير الجاد Anxiety Syrgency Desurgencu or Depressive	مقابل الجاد أو القلق الاكتئابى
توكلى، مبتهج	مقابل مفيد (متحفظ)، مهموم نتيجة الكف الناتج عن التعرض للعقاب والحرمان
العامل و G قوة الخلق أو قوة الأنا أو إيجابية ضد الكسل والإهمال العبث والتواكل الانفعالى وضعف الشخصية أو تحمل المسئولية عامة.	مقابل ضعف المعاير الداخلية
العامل ز Hمخاطر سهل التكيف تلقائيا وفقا لتغيير طارئ. صناعة باراسمبتاوية ضد التهديد (ومن ثم العارض)	مقابل الانعزال الثينروثيمى المتأصل (Parmia vs Threcita) مقابل سرعة القابلية للتهديد(مصحوبة بعتبات منخفضة)
العامل ح I الحساسية الانفعالية	مقابل النضح الصلب(الحساسية ضد الصلابة) Premiavs Harria

العامل ط L البارانوية توتر مسبق إسقاط وتوتر بارانوي	مقابل الغيرية المفعمة بالثقة مقابل استرخاء داخلى مقابل وجود النزعات المسقطة والتوتر
العامل ي M عدم المبالاة الهستيرية استرخاء تلقائي يستغرق الذات (انتباه للمثيرات الفكرية أكثر من الانتباه للمثيرات الحسية)	مقابل الاهتمام العملى Autia Vs Prexermiab مقابل عدم القدرة على التخلص من مشاعر عدد الكفاية
العامل ك N الحذلقة السرعة والكفاية الواقعية	مقابل البساطه (الدهاء مقابل السذاجة) مقابل الغموض والعاطفية والعجز عن ضبط النفس
العامل Oعدم الطمأنينة والقلق	مقابل رباطة الجأش والثقة بالنفس (الميل للشعور بالإثم مقابل الثقة بالنفس) وكان هذا العامل يسمى من قبل بالقلق العائم، والجبن وعدم الكفاية وتحقير الذات عند القطب الموجب
العامل م1 Q التحرر	مقابل المحافظة
العامل ن 2 Qالاكتفاء الذاتى	مقابل الافتقار إلى الثبات والتصميم على أمر ما
العامل 3 Q ضبط الإرادة وثبات الخلق	مقابل ضعف اعتبار الذات واستقرار الخلق
العامل ع 4 Q التوتر العصبي	مقابل عدم الإحباط، والسكينة والبلادة

جدول رقم (1)

ولم يتوقف كاتل عند أدائه الماضي بل استمر فى استخراج سمات مصدرية جديدة باستخدام تحليل عاملى واستخراج عوامل من المرتبة الثانية والثالثة ... علينا أن نتأمل السمات الأربع الأخيرة التى أطلق عليها Q1,Q2,Q3,Q4 ولقد أطلقت على هذه أسماء فيما بعد . ويطلق كاتل على سمات المصدر العوامل الأولية فى الشخصية باستثناءات قليلة فإن هذه العوامل ثنائية القطب. ومن المثير للاهتمام أن نلاحظ كثيراً من المنظرين فى مجال الشخصية استخدموا مفاهيم ثنائيو ولعل الاستثناء نجده عند شلدون وهورنى الذين استخدما مفاهيم ثلاثية.

قلنا إن كاتل انتهى بعد بحوث مستفيضة وخلال سنوات طويلة إلى قائمة من السمات المصدرية وعددها 16 سمة. ويمكن أن تُقارن بين الناس على أساسها. ولقد وضع كاتل مع سوندرز وستايس Saunders & Stice اختباره المشهور: اختبار عوامل الشخصية للراشدين Sixtee Personality Factor Questionnaire بحيث يقيس سمات المصدر الستة عشر التى كشفت عنها البحوث . ولقد استخدمت نتائج هذا الاختبار فى المقارنة بين مجموعات كبيرة منوعة. ولقد استخدم هذا الاختبار على نطاق واسع للتنبؤ بالنجاح المهنى والأكاديمى.

ولا تساعد حقائق اختبارات الشخصية العلماء السلوكيين فقط فى وصف عضو فى جماعة، ولكنها تساعد أيضاً في تفسير السلوك والتنبؤ به . ففى إحدى الدراسات مثلاً حاول كاتل ومساعدوه دراسة الأفراد المتزوجين السعداء والتعساء. وذلك لدراسة فكرة "أن الطيور ذات النوع الواحد تعيش مع بعضها فى تآلف ووفاق" وفى الحقيقة فإن الثنائيات ذوى الشخصيات المختلفة . ويبدو أنه من الأهمية للأفراد أن يكونوا

متشابهين فى ثلاث سمات: (متحفظ – منطلق)، (موضع ثقة – مشبوه)، (معتمد على الجماعة – مكتفى ذاتياً). وقد اتجه الأزواج فى المجموعات الراضية نسبياً إلى أن يكون أكثر سيطرة من زوجاتهم. وقد وضعت هذه البيانات كاتل والباحثين الآخرين فى وضع يمكن التنبؤ منه بدقة لمعرفة من من الأفراد المخطوبين سوف يقيمون روابط ناجحة فى النهاية وبنفس الأسلوب اكتشف فريق البحث بقيادة كاتل العناصر التى تدخل فى النجاح الأكاديمى، الكحوليين، العدسات اللاصقة، والعديد من الإنجارات الأخرى.

من حيث النوعية:

يقسم كاتل السمات إلى ثلاثة أنواع:

- **سمات القدرة Abilits Traits**، تعنى طريقة استجابة الفرد لموقف معين ولما ينطوى عليه من تعقيدات تحقيقاً لأهداف معينة.
- **السمات الدينامية Dynamic Traits**، تتضمن الدوافع والميول والاتجاهات وتكونيات الأنا والأنا الأعلى.
- **السمات المزاجية Temperament Traits**، وهي تكوينات تكوينية بدرجة كبيرة، تبدو فى درجة السرعة والحركة والطاقة والمثابرة، وتغطى مجموعة متنوعة من الاستجابات النوعية.

<u>وفيما يلى توضيح لهذه الأنواع من السمات:</u>

- **سمات القدرة Ability Traits:**

بعض سمات المصدر التى يمتلكها الشخص تحدد مدى فاعلية الشخص فى العمل نحو هدف مرغوب فيه، ويطلق على هذه السمات "سمات القدرة" ومن أهم هذه السمات الذكاء ولقد ميز كاتل بين نوعين من الذكاء: الذكاء المتبلور والذكاء السائل.

وهو يعرف الذكاء السائل بأنه هذا الشكل من أشكال الذكاء العام الذى يرجع غلى حد كبير إلى الفطرة، والذى يتوافق مع جميع أنواع المواد بغض النظر عن الخبرة السابقة، أى أن هذا الذكاء المرن قدرة عقلية يتطلبها التكيف مع المواقف الجديدة. ويرجع بدرجة أكبر إلى عامل الوراثة أكثر من الذكاء المتبلور. ويتوقف على الحالة الفسيولوجية العامة للفرد ويثبت نموه عادة فى سن الخامسة عشر أو السادسة عشر ويميل إلى النقصان مع تقدم الفرد فى العمر.

ويعرف كاتل الذكاء المتبلور بأنه "عامل عام يظهر إلى حد كبير فى نمط القدرات المتعلمة فى المدرسة، ويمثل أثر التطبيق الماضي للذكاء السائل، ومقدار التعليم المدرسي وكثافته ويظهر فى اختبارات مثل المقاييس اللفظية والعددية". ويعتمد الذكاء المتبلور على البيئة وهو للتذبذب، كما أنه يعتمد على مقدار التدريب وعلى اهتمام الفرد بالبيانات والحقائق. ويشعر كاتل أن الذكاء المتبلور قد يزداد وينمو حتى سن الخامسة والعشرين أو الثلاثين وأنه يثبت عند هذا السن. وقد يظهر زيادة منتظمة مع تقدم الفرد فى السن.

ويعتمد كاتل أن ذكاء الفرد يقدر فى معظم الأحوال باعتباره الذكاء المتبلور وذلك باستخدام اختبارات الذكاء التقليدية. ولكى يصحح هذا الموقف وضع كاتل اختبار الذكاء العادل ثقافياً Culture- Fait Intellegence وقد صمم ليقيس الذكاء السائل.

وقد قام أحمد عبد العزيز سلامة، وعبد السلام عبد الغفار بتعديل هذا الاختبار للاستخدام فى البيئة المصرية ... ويتكون هذا الاختبار من جزئين يستخدمان معاً، ويشمل كل جزء منهما على أربعة اختبارات تغطى أربعة انواع من استنباط العلاقات التى ثبت علمياً ارتفاع درجة تشبعها بالعامل العام أو القدرة العقلية العامة وهي: اختبار المسلسلات – اختبار التصنيفات – اختبار المصفوفات – اختبار الظروف.

ويمكن إجراء هذا الاختبار بصورة جماعية أو بصورة فردية، وفى كلتا الحالتين يراعى ضرورة التقيد بالزمن المحدد للإجابة عن كل قسم من أقسامه.

ويمكن إجراء الجزئين معاً فى جلسة واحدة، ويشترط وجود فاصل زمنى مناسب بينهما بحيث يستريح فيه المفحوصين حتى تتوفر نفس الظروف فى إجراء كلا الجزئين ... كما يمكن إجراء هذا الاختبار فى جلستين منفصلتين ... ولا يحتاج إجراء الجزئين لأكثر من 50 دقيقة.

وتصحيح الإجابة باستخدام مفتاح تصحيح خاص يعطى المفحوص درجة عن كل إجابة صحيحة – ثم تجمع هذه الدرجات للحصول على الدرجة الكلية فى الاختبار والتى تستخدم بعد ذلك فى الحصول على معاملات الذكاء المقابلة للدرجة الخام من الجداول الملحقة بالاختبار.

ولقد اهتم كاتل منذ فترة طويلة منذ عام 1953 بأثر الوراثة والبيئة على الذكاء ولقد فضل كاتل – إذا قورن بأيونك الذى عمل على دراسة التوائم الأخوية – تحليل التباين المتعدد حيث تنازل متغيرات مستمرة فى دراسته للتوائم. وفى هذا النسق حاول أن يتوصل إلى أربعة مكونات هى:

- الفروق الفردية بين الأسر فى الوراثة.
- الفروق بين الأسر فى البيئة.
- الفروق بين الأخوة والأخوات داخل نفس الأسرة فى الوراثة.
- الفروق بين الأخوة والأخوات داخل نفس الأسرة فى البيئة.

وهكذا استخدم كاتل أسلوباً متطوراً وعمل فعل أقرانه من العاملين فى مجال الشخصية.

ولقد أدت بحوث كاتل به إلى الاعتقاد بأن 80% من ذكاء الشخص يتحدد بالوراثة. وهو يشعر أن ما نسميه ذكاء ما هو إلا استعداد عقلى تحدد وراثيا بنسبة 80% (وهو الذكاء السائل) وأن 20% من ذكاء الشخص تحدد من خلال الخبرة التحصيل (الذكاء المتبلور) غير أن الأخير هو الذى تقيسة عادة اختبارات الذكاء وليس الأول.

- **سمات المزاج:**

وهى خصائص الشخص التى تحدد وراثياً وتحدد أسلوبه العام وإيقاعه. إن سمات المزاج تحدد السرعة التى بها يستجيب الفرد للمواقف والطاقة والانفعال. وإنها تحدد مدى مثابرة الشخص و اعتداله فى آداب سلوكه، ومدى قابليته للإثارة فسمات المزاج إذا سمات جبلية تكوينية مصدرية تحدد انفعالية الشخص.

- **سمات دينامية Dynamic traits:**

وبينما نجد أن السمات الأخرى هى وحدات بناء الشخصية . فإن السمات الدينامية تهيئ الشخص للحركة نحو بعض الأهداف وهى لذلك عناصر دافعية في الشخصية ولقد حدد كاتل أربعة أنواع من السمات الدينامية وهى الدفعة الفطرية، وما بعد الفطرية، والعواطف والاتجاهات وسوف نتناول كل منها على حدة.

الدفعة الفطرية Ergs :

الدفعة الفطرية تشبه إلى حد كبير الغريزة. إن كلمة Erg جاءت أصلاً من ميدان الفيزياء وهى في أبسط تعريف لها" وحدة للطاقة". وتعرف الدفعة الفطرية بأنها:

" استعداد فطرى نفسى جسمى يتيح لصاحبه اكتساب استجابة (انتباه وتعريف) لفئات معينة من الأشياء على نحو أيسر من اكتسابها بالنسبة لفئات أخرى، كما يتيح له أن يخبر انفعالاً معيناً بالنسبة لها، وأن يبدأ في سلسلة من الأفعال تتوقف على نحو تام عند هدف معين أكثر من توقفها عند آخر مما يعزز السلوك المفضل للهدف المفضل".

واضح من التعريف السابق أن للدفعة الفطرية أربعة جوانب هي:

- أنها تحدث إدراكاً انتقائياً، أى أنها تجعل الفرد ينتبه إلى بعض الأشياء ولا ينتبه إلى أخرى. فالشخص الجائع ينتبه إلى الوقائع التى ترتبط بالطعام أكثر من انتباهه إلى ما ليس ذلك.
- أنها تثير استجابة انفعالية نحو أشياء معينة ففكرة تناول الطعام فكرة سارة.
- أنها تثير سلوكاً موجهاً نحو هدف. فالشخص الجائع سوف يعمل ما يلزم من أعمال ليحصل على الطعام.
- أنها تؤدى إلى استجابة نهائية. أى أنه حين يحصل الجائع على طعام سوف يأكله.

وكما أوضح كاتل، فإن لهذا التعريف أربعة أجزاء رئيسية هى:

- الاستجابة الإدراكية.
- والاستجابة الانفعالية.
- والأفعال الأدائية الموصلة إلى الهدف.
- ثم إشباع الهدف نفسه.

وإذا ما أُدمجا الجزئيين الأخرين فسوف يتكون التعريف عندئذ من مكونات معرفية، ووجدانية، ونزعوية كما في تعريف ماكدوجال الشهير "الغريزة". وبالفعل فإن الدفعة الفطرية تؤدى في نظرية كاتل عن الشخصية وظيفة تطابق في الغالب الوظيفة التى يحققها مفهوم الغريزة أو النزعة الطبيعية Propensity في نظرية ماكدوجال.

ولقد كشفت بحوث كاتل عن إحدى عشرة دفعة فطرية هى: الجنس و الجوع و الحماية الوالدية وتأكيد الذات وحب الاستطلاع والنزعة إلى التجمع والغضب ولوم الذات والاشمئزاز وخضوع الذات. وكاتل يستخدم لفظ دفعة فطرية للتخلص من الخلط اللغوي بين الغريزة والحافز.

الدفعات المكتسبة أو ما بعد الفطرية metaergs :

الدفعة المكتسبة سمة مصدر دينامية تشلها البيئة. أي أنه في حين تتشكل الدفعة الفطرية نتيجة لمحددات تكوينية، تتشكل الدفعة المكتسبة نتيجة لعوامل اجتماعية حضارية.

وتدخل في هذه الفئة الاتجاهات والعواطف. والعواطف هي: "بنيات سمات دينامية رئيسية مكتسبة تؤدي بأصحابها إلى الانتباه إلى موضوعات معينة أو فئات من الموضوعات، وأن يشعر بها وأن يستجيب إيها بطريقة معينة". ويعتقد كاتل أن العواطف تتركز عادة حول: المهنة، والرياضة، والدين، والوالدين، الزوج، والذات. والاتجاه النفسي أكثر تحديداً ولكنه مشتق من العاطفة وهذه بدورها مشتقة من الدفعة الفطرية. والاتجاه النفسي كما يراه كاتل هو مي إلى الاستجابة بطريقة معينة في موقف معين لشيء أو واقعة معينة.

وقد مكنت البحوث كاتل من تحديد عدد صغير من العواطف الهامة تتضمن: الاهتمام بالمهنة ، وبالرياضة وبالألعاب، والدين، والاهتمامات الميكانيكية، الوطنية، بنيات الأنا الأعلى، عاطفة الذات.

مفاهيم النظرية:

نتوقع من دراسة السمات المترابطة وجود هدف نهائي للفرد يتوصل إليه من خلال سلسلة من الأهداف التابعة أو الأدائية وتعد السمات التي تتصل بهدف اولي تابعة للسمات التي تتصل ببلوغ هدف نهائي وهكذا يمكن التمييز بين الدفعة الفطرية والعاطفية والاتجاه من حيث كونها جميعاً سمات دينامية من حيث أن الاتجاهات تابعة للعواطف والعواطف تابعة للدفعات الفطرية ويقترح كاتل لتوضيح هذا التعقيد استخدام الشبكة الدينامية ويمكن توضيحها برسم بياني يبين الممرات التي تربط بين اتجاهات معينة من اليسار مثلاً إلى موضوعات معينة على مستوي العاطفة في الوسط ونحو أهداف دفعات فطرية في الطرف الآخر. وهكذا يمكن أن يكون الموضوع المعين تابعاً لعدد من الدفعات الفطرية والعديد من الاتجاهات تابعة للموضوع ويندر أن يشبع الفرد رغباته الفطرية على نحو مباشر أي أنه يشبع هذه الدفعات الفطرية بطرق غير مباشرة فقد ينمي الإنسان مهاراته ليحصل على عمل وذلك لكي يتزوج وينشئ أسرة أو ليعول أسرته الأصلية. ويطلق كاتل على الإشباع غير المباشر للدفعة الفطرية الدوران الطويل ويمكن أن نري أيضاً أن لكل عاطفة وظيفة لعدد من الدفعات الفطرية أو تابعة لها: فالعاطفة نحو الزوجة تعكس فيما يبدو الجنس

والعواطف والنزعات الفطرية يتفاعل بعضها مع البعض الآخر باستمرار وتعكس الظروف الحاضرة كما تعكس الظروف الحاضرة كما تعكس أهداف الفرد المستقبلية.

الذات Self :

ويعطي كاتل لمفهوم الذات مكانة هامة في نسقه، ويتحدث عن عاطفة الذات التي تضفي استقرار على سمات المصدر كما تضفي عليها درجة عالية من التنظيم. وعلى ذلك فإن قيام أي ثمة مصدرية دينامية يعملها سوف يتطلب قدراً من المشاركة من عاطفة الذات.

وسوف ترتبط درجة يسر تعبيرها عن نفسها بمدي اتساقها مع الذات وهناك بطبيعة الحال سمات تنفصل عن الذات ويغلب أن تعبر عن العصاب والحالات المرضية. وكاتل يتحدث عن ثلاثة جوانب فيما يتصل بالذات والذات الواقعية والذات المثالية. والمقصود بعاطفة الذات Self اهتمام الفرد بذاته المتطورة، ويقصد بالذات الواقعية Real Self الفرد كما يقر بذلك في أكثر لحظاته منطقية، وبالذات المثالية Ideal Self هي الفرد كما يود أن يكون إذا توافرت له كل الأشياء ووكل السلطة، ولقد كان أمل كاتل في بحوثه الكثيرة أن يدرس الشخصية الفريدة حيت تلتقي وتواجه موقفاً فريداً.

وقد تكون الذات الفعلية في بداية الارتقاء بمثابة انعكاس غير كامل للذات المثالية، وقد تعتبر تابعة لها. وعلى أي حال فقد يؤدي مرور الوقت والارتقاء السوي إلى تكامل هاتين الذاتين في حدود ما تميله عاطفة الذات.

الدور:

ويتناول كاتل مفهوم الدور ويري أن لغز على عالم النفس أن يتصدي لحله. والسؤال الذي يطرحه هو: هل التغير في الإدراك الذي يولد تغيراً في الفعل حين يبدأ الفرد في أداء دوره يرجع إلى تغير في مؤشرات الموقفية أو إلى تغير في البنية الأساسية للشخصية ذاتها؟ وهكذا فإنه يقول: هل يري الفرد فعلاً الموقف مختلفاً؟ أم أن الفرد يغير فعلاً موقف الدور؟ وهو بصفة ينتهي إلى القول بأن هذين النوعين من التغير يحدثان، ذلك أن القيام بالدور يغير الفرد كما أن الفرد يغير الدور.

معادلة التخصيص The Specification Equation :

يهتم كاتل بالأسوياء من الناس في الأساس. وهو مهتم بالقدرة على التنبؤ بالكيفية التي يستجيب بها الناس للمواقف المختلفة بقدر ملحوظ من الدقة. وكاتل يؤمن بالحتمية في تنبؤاته. أنه يعتقد أن السلوك وظيفة ونتيجة لعدد محدود من المتغيرات وإذا عرفنا هذه التغيرات معرفة تامة فإننا نستطيع أن نتنبأ بالسلوك بدقة تامة.

ولكن كاتل وغيره ممن يؤمنون بالحتمية يدركون أنه لا يمكن معرفة جميع المتغيرات التي تؤثر في السلوك ولذلك فإن التنبؤ بالسلوك سيظل دائماً احتمالي. ومتي ما أدركنا هذا فإنا كلما ازدادت معرفتنا بالمتغيرات التي تثر في السلوك الإنساني ازدادت دقة تنبؤاتنا به، ويري كاتل أن هذا يصدق أيضاً

في مجال بحوث الشخصية، فكلما ازدادت معرفتنا عن السمات المختلفة للشخص، ازدادت قدرتنا على التنبؤ بسلوكه.

ويمكن بصفة عامة أن نعبر رمزياً عن موقف كاتل في هذه المسألة على النحو الآتي:

$$R = P \times S$$

استجابة الشخصية = وظيفة (الشخصية والموقف)

وحيث :

R = استجابة الشخص

P = شخصية

S = الموقف

وبعبارة أخري إن سلوك الشخص ما هو إلا وظيفة أو نتيجة للشخصية والموقف التي توجد فيه.

واضح أن هذه المعادلة تبسيط زائد وجهة نظر كاتل. لأننا إذا أردنا أن نتنبأ بدقة بأداء الشخص، فإننا لابد أن نحلل العناصر التي تدخل في الشخصية، بتفصيل أكبر، ومعروف أن شخصية الفرد عند كاتل هي جميع السمات التي يمتلكها ذلك الفرد وهكذا لابد أن نضع في المعادلة مقياساً لكل سمة من سمات الشخصية وسوف تتفاوت أهمية سمات الشخص من موقف إلى آخر، وذلك لابد من تحديد كل سمة في كل موقف. ونطلق على هذا التحديد تشبع السمة بالعامل وهناك ظروف مؤقتة قد تؤثر في السلوك في أوقات معينة بالإضافة إلى السمات المستقرة وعلى سبيل المثال قد يكون الشخص مريضاً أو متعباً، وبالمثل فإن مواقف معينة قد تتطلب من الشخص أن يلعب دوراً، وهذا الدور يؤثر في السلوك تأثيراً كبيراً. ويطلق على هذه الحالات الجسمية المؤقتة كالتعب والمرض والقلق والأدوار الاجتماعية المطلوب أداؤها المتغيرات لأنها تغير التعبيرات السلوكية.

ويتضح الآن أن التنبؤ بسلوك شخص عمل معقد، لأننا إذا أن نتنبأ بسلوك فرد معين في موقف معين فإنه ينبغي علينا أن نعرف سمات هذا الشخص، ومدي أهميتها في هذا الموقف المعين، وحالته الجسمية الراهنة، والأدوار التي عليه أن يلعبها في هذا الموقف. وتصبح المعادلة العامة التي سبق عرضها أكثر تحديداً وتفصيلاً ويسميها كاتل معادلة التخصيص.

حيث:

PJ= الأداء في الموقف.

A= سمات القدرة.

T= سمات المزاج .

E= توترات الدفعة الفطرية الراهنة.

M= العواطف والاتجاهات.

R= الأدوار التي يطلبها الموقف.

S = حاجات الجسم المؤقتة كالتعب والمرض والقلق.

SJ= الوزن أو التشبع Loading الذي يبين أهمية كل ما تقدر من مؤثرات في الموقف.

الموقف:

فإذا أردت أن تعرف كيف يستجيب الشخص إلى موقف معين، فعليك أن تكتب قائمة وأن تقدر وزن كل منها وأهميتها بالنسبة للموقف، وعلى سبيل المثال: فإذا كان الفرد يواجه موقفاً يتطلب حلاً، فان سمة القدرة (الذكاء) سيكون لها وزن كبير. فإذا فعلنا هذا بالنسبة لكل سمات الشخص وأدخلنا في اعتبارنا المتغيرات الموقفية. فإننا نستطيع أن نتنبأ بسلوك الشخص في هذا الموقف بدرجة كبيرة.

نمو الشخصية:

تناول كاتل عملية الشخصية بشمول بالغ لمفاهيمه البنائية وأيضاً في مناقشته للسلوك في مستويات العمل المختلفة، بحيث أصبح استخلاص صورة وافية لآرائه أمراً بالغ الصعوبة. ولا نستطيع سوى أن نحدد معالجته لعملية التعلم، وأن نعرض في شكل تخطيطي إلى حد كبير أسسه لتكوين الشخصية.

ويبدو من الصواب أن نقول أن كاتل قد استمد ما أقامه من علم نفس ارتقائي من كل من التحليل النفسي ونظرية التعلم، ولكنه أدخل الكثير من أفكاره الخاصة في الصياغة. وبالنسبة له تتكون عملية الارتقاء أساساً من تعديل الدفعات الفطرية، وتفصيل الدفعات المكتسبة، وتنظيم بناء الذات. ويتوقف مدى سهولة هذا النوع من التعديل والنمو على الذكاء وعلى مقدار جمود الاستعداد وقوة الذاكرة.

مبادئ التعلم:

لقد اختار كاتل في عرضه لعلمية التعلم، يركز على سلاسل من نقاط الاختيار أو كما يسميها الطرق المتقاطعة الدنيوية والتى مثل الوقائع التى تلى تنشيط بعض الأنماط الفطرية للسلوك. أى أنه حين يبدأ التوافق الأكثر فطرية في العمل، فإن هذا الميل المصحوب بالظروف البيئية الخاصة سوف يؤدى إلى إحدى النواتج المتعددة. ولقد حاول كاتل أن ينظم تلك النواتج في شكل نمط متعاقب من الاختيارات أو الطرق المتقاطعة.

وقبل أن نعدد تلك الطرق المتعلقة فنعرض باختصار لمواقف كاتل بالنسبة لقوانين التعليم فهو برغم قبوله لفعالية كل من التجاوز (الاشتراك التقليدي)، والتعزيز(قانون الأصل)، فإنه يرى بوضوح أن أكثر القوانين أهمية هو القانون الدينامى للأثر.

ووفقاً لصياغة كاتل فإن الاستجابات التى تنزع إلى أن تتعلم هى تلك التى تقرب المسافة بين الشخص والهدف ولكنه يضيف إلى جانب ذلك أن استجابات المحاولة والخطأ تستثار طلقاً لمبادئ التجاور أو الارتباط.

ويحدث أول تلك الطرق المتقاطعة الدينامية حين يقدم الفرد على محاولة لإشباع دفعة فطرية معينة، فهناك أربع نواتج محتملة قد تتبع آثاره الدفعة الفطرية:

أولاً: قد يحصل الفرد على الإشباع نتيجة لنمط سلوكى محدد فطرياً.

ثانياً: قد يفشل الفرد في الحصول على الإشباع لعدم فعالية الأنماط الفطرية للاستجابة إدراكياً في مواجهة العوامل البيئية الحالية.

ثالثاً: قد يتعدل النمط الفطري أو يبطل من خلال تنشيط دفعة فطرية أخرى تابعة له.

رابعاً: قد يفشل الفرد في الوصول إلى الهدف بفعل العوائق برغم أن الطريق إلى الهدف فيما عدا ذلك مناسب ومدرك بوضوح.

السياق الاجتماعي:

يري كاتل أن الأبعاد الموضوعية قد تستخدم لوصف الجماعات بطريقة تماثل تلك التى استخدمت بها السمات لوصف الأفراد. وتمثل تلك الأبعاد شخصية الجماعة.

وهو ما يقابل الشخصية الفردية، وهكذا فإن وصف شخصية الجماعات المختلفة التى تؤثر على شخصية الفرد يعد مهمة هامة بالنسبة لمن يدرس الشخصية في علاقاتها بالقالب الاجتماعي الحضارى، ولا نستطيع الحصول على معرفة تفصيلية فيما يتعلق بالتفاعل بين شخصية الفرد وشخصية الجماعة إلا من خلال الوصف الكافى لكل من هذين البنائين.

والكثير من المؤسسات الاجتماعية تمارس تأثيرها في تعديل أو تشكيل الشخصية ولكن أهم تلك المؤسسات هى الأسرة. وإلى جانب هذا المصدر الأساسي للتأثير توجد مؤسسات أخرى تلعب دوراً يستحق الاعتبار مثل المهنة، المدرسة، ومجموعة الأقران والدين، والحزب السياسي، والأمة

وقد يكون لمثل تلك المؤسسات تأثيرها على الشخصية بإحدى الطرق الثلاثة التالية:

فأولاً: قد يكون هناك قصد معتمد لخلق نوع معين من الخلق أو الشخصية أو أن تعريف السلوك المقبول اجتماعياً قد يتضمن تخصيصاً لسمات الشخصية، وبالتالى فقد تقوم المؤسسة الاجتماعية بمعادلة واعية لخلق تلك المميزات.

ثانياً: فإن العوامل الموقفية قد يكون لها تأثير غير مقصود يمارسه المجتمع أو ما شابه من مؤسسات.

ثالثاً: فإنه كنتيجة لأنماط السلوك التى استقرت خلال العملية الأولى أو الثانية، قد يجد الفرد أنه من الضروري إدخال المزيد من التعديلات على شخصيته للتعبير عن الدوافع الهامة أو إرضائها.

وبذلك فإنه ينبغي أن يتضمن الفهم الصحيح لارتقاء الشخصية لإسهام مختلف المؤسسات الاجتماعية التى تتدرج من الأسرة إلى الامة والجامعة الحضرية. وبالإضافة إلى ذلك فإن هذه الخطوة لا يمكن ان تتخذ إلى حين يتم استخلاص الابعاد المناسبة لوصف تلك المجموعات والمؤسسات والتفرقة بينها. ونجد أن التحليل العاملي يلعب في وصف الشخصية ... شخصية الجماعة نفس الدور الذى لعبه في وصف شخصية الفرد. وبالرغم بأن البحث في هذا المجال ليس جديداً، فإن كاتل قد أورد نتائج دراسة واحدة أجريت على مجموعات صغيرة وأدت إلى سبعة عوامل أو أبعاد اعتبارها كاتل مبشرة بوصفه شخصية الجماعة. وكانت تلك العوامل هى: الاستجابة المنبسطة مقابل الانسحا، وروح الجماعة الذكية، والواقعية والاعتمادية مقابل عدم الاتزان، والمراوغة، والاسترخاء الواقعى عن معرفة مقابل الكد والعدوانية الجامدة، الدهاء العلمى والعناد مقابل الاسترسال في التخيل والتغير المستمر الدينامى، الجلد مقابل النشاط اللفظى السهل، والتمديد الودى والكياسة إفقاد السيطرة الذاتية للجماعة. وإلى جانب تلك المتغيرات ووسائل قياسها موضعياً فإنه من الممكن أن نتقدم لتخطيط العلاقات بين العائلات التى تختلف من حيث بيئتها بالنسبة لمثل تلك المتغيرات وبالنسبة لشخصيات الأفراد كما توصف في ضوء سمات المصدر.

ولقد قدم كاتل أيضاً سنة 1949 مجموعة من الأبعاد لوصف شخصيات الأمم. وقد استخرج في هذه الحالة عشرة عوامل من دراسة أجرها على سبعين أمه باستخدام 72 مقياساً مختلفاً. ومن بين تلك العوامل العشرة لم يظهر سوى 8 لها دلالة واضحة وكانت: والضغط الحضارى، والوفرة المستنيرة، والجهد

المتأمل، والنظام المتأمل، والنظام الإداري الذاتى الصارم، والمادية البورجوازية، والبوذية- المونجولية، والتكامل الحضارى، والروح المعنوية.

وبالإضافة إلى ذلك فقد كان لدى كاتل الكثير ليقوله فيما يتعلق بتفاصيل كيف تؤثر المؤسسات النوعية على شخصية الفرد. ويكفى أن نتعرف على الدور الكبير الذي اسنده إلى مثل تلك المتغيرات الحضارية والاجتماعية، وأن ترى أن اتجاهه إلى تلك الدراسة التجريبية لهذا التفاعل يتصق مع اتجاهه إلى دراسة شخصية الفرد في عزلة نسبياً. وفى كلتا الحالتين فإن إيضاح المتغيرات الأساسية من خلال استخدام التحليل العاملى يمثل خطوة تمهيدية حاسمة.

تصميمات الأبحاث في نظرية كاتل:

يمكن تلخيص التصميمات استخدامها كاتل في البحث والاساليب التى اتبعها في دراساته منذ بداية عمله فيما يلى:

- **أسلوب ر R.Technique:**

وهو الأسلوب التقليدي لعلماء النفس، ويتلخص في إيجاد معامل الارتباط بين الدرجات التى حصلت عليها مجموعة من الأفراد في اختبارين أو أكثر لمعرفة مدى الارتباط بين هذه الاختبارات.

- **أسلوب ب P.Technique:**

ويهدف هذا الأسلوب إلى إيجاد الارتباط بين عينات مختلفة من سلوك نفس الفرد باستخدام عدد كبير من المقاييس وتطبيقها على الفرد في ظروف وأقات مختلفة.

- **أسلوب كيو Q. Technique:**

ويهدف هذا الأسلوب إلى إيجاد الارتباط بين فردين على عدد كبير من المقاييس المختلفة.
ويمكن أن توجد الارتباطات فيه بين عدد كبير من الأفراد بالنسبة لعدد كبير من المقاييس وفى هذه الحالة يمكن أن يجتمع الأفراد المتشابهون في مقاييس معينة تمكن الباحث من تصنيفهم الى طرز Types.

- **أسلوب كـ الفارقي K.Technique:**

وهو أسلوب يشبه أسلوب، الاعتيادي، إلا أن القياس هنا يعاد مرتين ويحسب الارتباط وتوجد العوامل للتغيرات الناتجة عن القياسين، وهذا الاسلوب مفيد فى دراسة الحالات النفسية وبالإضافة إلى هذه الاساليب الأربعة التى استخدمها كاتل كثيراً فإنه وصف وشرح في كتاباته الغريزة عدداً كبيراً من التصميمات الأخرى التى يمكن استخدامها من قبل الباثين في الشخصية.

<u>ويحصل كاتل على المعلومات فى بحوثه فى الشخصية من ثلاث مصادر:</u>

- **سجل الحياة L. Data:**

ويشمل هذا السجل السلوك اليومى كعدد الاصابات أو تكرار الزيارات الاجتماعية أو عدد الجمعيات التى ينتمي إليها الفرد والدرجات المدرسية وما شابه.

- **الاستبانات E.Data:**

وتعتمد هذه على التقرير الذاتى، وتعد خصيصاً لقياس اتجاه معين أو بعد من أبعاد الشخصية.

- **الأختبارات الموضوعية OT.Data:**

وهي اختبارات أعدت لقياس سلوك الفرد للتعرف على الشخصية بدون أن يعرف المفحوص كيف ستفسر استجاباته. وتتوفر الموضوعية عندما يقاوم الاختبار أى تحريف أو حساسية نحو الباحث أو كذب من قبل المفحوص، ويعتبر هذا بوضوح من جهوده المتواصلة في بناء الاختبارات رغم دعوته إلى الاستعانة بالمصادر الثلاثة بصرة متكاملة لفهم شخصية الإنسان المعقدة.

ويمكن تلخيص المدخل لفهم بناء الشخصية لدى كاتل بالآتى:

- المقارنة بين المعلومات كما هى مستسقاة من سجل الحياة والاستبانات والاختبارات.

- دراسة مستعرضة لكل الأعمار،
- دراسة العلاقات بالتحليل العاملى.
- دراسة الثقافات المختلفة لإيجاد بناء وديناميات الشخصية الثابته.
- دراسة المتغيرات بطريقة التجربة المتعددة للمتغير.

مناهج البحث في نظرية كاتل وبحوث مختارة حولها:

تدل كتابات كاتل واساليب بحوثه على التزامه التام بالأسلوب العلمي باتجاه تنمية حقل الشخصية كعلم، ولذا فقد أكد على وجوب استخدام الطرق الموضوعية والبحوث الكمية، وعي علي تطبيق الأساليب الرياضية العالية على البيانات والمعلومات النفسية. وقد أعطي الرياضيات أهمية خاصة وسماها ملكة العلوم.

والحق أن الارتباط بين النظرية وأسلوب البحث في نظرية كاتل أكبر مما هو في أي من نظريات الشخصية الأخري. إذ يدعو كاتل إلى ضرورة الاهتمام بالأسلوب العلمي في البحث بدل الاستكشافات غير المنظمة أو استخدم الطرق التقليدية التي لم تؤد إلى نتيجة واضحة.

طريقة الأبحاث متعددة المتغير:

يميز كاتل بين ثلاثة تصميمات لدراسة الشخصية هي:

- التجربة ثنائية المتغير Bivariate
- التجربة متعددة المتغير Multivariate
- التصميم الإكلينيكي Clinical

إن تصميم البحث على أساس التجربة، ثنائية المتغير، هي الطريقة التجريبية التي ادخلتها "فنت" في علم النفس التجريبي، وهي التجربة التقليدية التي تستخدم للقياس في علوم الطبيعة، وفيها يسيطر الباحث على المتغير المستقل ويغير فيه ليرى تأثيره على المتغير التابع.

أما التصميم الذي يستخدم طريقة التجربة، متعددة المتغير، فان الباحث يدرس فيه العلاقات بين عدد من المتغيرات في نفس الوقت، كما أن الباحث لا يغير في المتغيرات إنما يلاحظ التغيرات الطبيعية التى تقع عليها في الحياة ولو أن بإمكانه أحياناً اجراء التغير إذا أراد.

ورغم أن الطريقتين: الثنائية والمتعددة المتغير، تلزمان بالأسلوب العلمي، إلا أن كاتل ينتقد أسلوب التجربة ثنائية المتغير، لأنها محدودة بمتغيرات قليلة العدد، في حين أن السلوك الإنساني معقد، ويفصح عن التداخل بين عدد كبير من المتغيرات عادة، لذا فغن فهم العلاقة بين متغيرين يترك الباحث أمام مشكلة فهم تعامل هذين المتغيرين وكيف يتم مع المتغيرات الكثيرة الأخري المهمة في تحديد السلوك المدروس .

كذلك يري كاتل أن البحث استخدام التجربة الثنائية المتغير يلجأ إلى خوض موضوعات بسيطة وغير هامة أحياناً لمجرد أنه يستطيع بفاعلية أكبر ضبط العوامل فيها، وقد يلجأ إلى الموضوعات الفسيولوجية أو إلى استخدام الحيوان بدل الإنسان لإيجاد إجابات الأسئلته العويصة.

أما التصميم الإكلينيكي فان طريقته تدرس موضوعات هامة في السلوك علي نحو ما يحدث ، في الطبيعة. كما تؤكد هذه الطريقة على دراسة الفرد ككل، فلا تجرؤه كما في طريقة التجربة الثنائية المتغير.

وهكذا يري كاتل أن الطريقة الإكلينيكية، وطريقة التجربة متعددة المتغيرات، يتفقان فيما بينهما في القصد العلمي والمسلمات الفلسفية ويختلفان عن طريقة التجربة ثنائية المتغير. فإن الإكلينيكي والباحث متعدد المتغيرات، يهتمان بالأحداث الشاملة وبالنماذج المعقدة في السلوك كما تحدث في الطبيعة، وكلاهما يستخدم الحياة نفسها كمصدر وكلاهما يريد فهم الشخصية ككل بدلاً من فهم عمليات متفرقة وأجزاء متقطعة منها، والفرق بينهما هو أن الإكلينيكي يستعل الحدس لتقييم المتغيرات، والذاكرة لضبط الحوادث، بينما يستخدم الباحث تعدد المتغيرات الأساليب التجريبية والتحليل الإحصائي.

وباختصار، ولما تقدم، فإن كاتل يري أن طريقة التجربة متعددة المتغير تجمع بين الميزات الجيدة لكل من التجربة ثنائية المتغير والطريقة الإكلينيكية. فهذه الطريقة، موضوعية وعملية وتسمح بدراسة ما لا يمكن ضبطه، وبالإضافة إلى ذلك، فإنها اقتصادية، إذ يمكن للباحث الذي يستخدمها أن يدرس عدة متغيرات في آن واحد، كما يمكن له دراسة عدة أشخاص وفي مواقف كثيرة في تجربة واحدة.

طريقة التحليل العاملي:

إن الطريقة الإحصائية التي ارتبطت بالبحوث متعددة المتغير هي ما يوصف بالتحليل العاملي. ويتخلص التحليل العاملي في أن يبدأ الباحث الذي يستخدمه بعدد كبير من فقرات اختبار تعطي إلى عدد كبير من الأفراد.

والسؤال الذي يتعين الإجابة عليه فيما هو إيجاد الفقرات التي تستجيب لها مجموعات من الأفراد بنفس الاستجابة؟ ويوصل الباحث إلى تجمعات للفقرات أو العوامل باستخدام عدد من الأساليب الإحصائية.

وهكذا تكون الفقرات في أيتجمع مرتبطة ببعضها ارتباطاً عالياً، بينما يكون ارتباطها معدوم أو منخفض جداً مع فقرات التجمعات الأخرى وفي هذه الحالة يمثل كل تجمع عاملاً مستقلاً.

أما بالنسبة لمنطق التحليل العاملي، فلأنه يوجد في الشخصية عناصر مفردة طبيعية تقابل العناصر في علم الطبيعة، فإنه تحرك هذه الأشياء (استجابات الاختبار، المتغيرات) معاً ظهوراً أو اختفاءاً مثلاً، يمكن الاستدلال منه على أن هناك وراءها صفة مشتركة، أى أنها تعود إلى نفس الوحدة في فعاليات الشخصية. ويفترض التحليل العاملي أن السلوكين الذين يتغيران مع بعضهما البعض هما مرتبطان وظيفياً، وأنه

يمكن التوصل بالوسائل الإحصائية إلى تحديد الارتباط بين أي سلوك آخر. وعلى هذا النحو تتحدد الوحدات الوظيفية أو العناصر الطبيعية أو السمات أو العوامل في الشخصية.

وهناك تصميمات مختلفة للتحليل العاملي وتشترك كلها في أنها تحدد مصادر الاختلاف المشتركة أو وحدات البناء بقصد الحصول على معلومات نظرية منظمة ذات أهمية وذات معنى من الغابة الفوضوية للسلوك الإنساني.

الطريقة الاستقرائية – الفرضية – الاستنتاجية :

ويقترح كاتل استخدام الطريقة الاستقرائية – الفرضية الاستنتاجية Deductive Inductive Hypo Thetico وتتلخص هذه الطريقة في أن يبدأ الباحث بالاستكشاف الذى هو أكثر مراحل عملية البحث العلمى إبداعاً. ويقترن هذا الاستكشاف ببعض الملاحظات التجريبية بحيث يؤدي م فيها من انتظام إلى التفكير الاستقرائي والوصول إلى نقطة يستنتج منها ما هو قابل للبحث، ليؤدي هذا بدوره إلى الاستقراء ثانية.

ويرى كاتل أن الطريقتين: الفرضية الاستنتاجية والفرضية الاستقرائية، ضروريتان في بحوث الشخصية، إلا أن معظم علماء النفس الباحثين في الشخصية يكتفون عادة بواحدة فقط فيستخدمون إما الاستقراء أو الاستنتاج في البحث الواحد.

ويرى كاتل أنه يجب أن نتعلم كيف نصف، وكيف نقيس بدقة، الوجوه المختلفة للشخصية أن هذه الوجوه ما هي إلا السمات المختلفة أو الأبعاد التي يجب أن نحددها بمقاييس كمية دقيقة لفهم الشخصية.

كما أن اهتم بمحددات أبعاد الشخصية وكيف تتكون السمات وقد قام ببحوث زائدة في ميدان الوراثة والتعلم وأثرهما في تكوين الشخصية وهي التعلم بالشرطية التقليدية والتعلم بأثر الثواب والتعلم التكاملي، ويركد كاتل على النوع الأخير لأنه يشبع حاجات الشخصية ككل وليس حافزاً واحداً أو حاجة فيها، فضلاً عن أنه أسلوب التعلم الذي يتميز به الإنسان عن الحيوان.

أما تأثير عامل الوراثة في تكوين السمات في نظرية كاتل فواضح من تأكيده عليه في كتاباته فقد اعتقد أن السمة تتأثر في الواقع بعاملي البيئة والوراثة. وقد ابتدع تصميماً لتحديد أثر كل من هذين العاملين في كل سمه، وهي طريقة تحليل التباين المجرد المتعدد. Multiple Abstract (MAVA) Variance Analysis Method . ويتلخص هذا التصميم في أن يعطي الباحث عدداً كبيراً من اختبارات الشخصية إلى أفراد عدد كبير من العائلات، ثم تحلل المعلومات المتجمعة بالنسبة لأربع أنواع من التأثيرات: وهي الوراثية داخل العائلة والفروق البيئية بين العائلات، والفروق الوراثية داخل العائلة والفروق الوراثية بين العائلات، ثم باستخدام عدد من المعادلات الرياضية يستطيع الباحث أن يتوصل إلى تحديد مساهمة كل من البيئة والوراثة في تكوين السمة أو السمات التي هو بصدد دراستها.

تقويم نظرية السمات:

رغم أهمية سمات الشخصية، فانه ينبغي أن نضع في اعتبارنا الملاحظات التالية:

- أن تحليل الشخصية إلى سمات / هو نوع من التجريد يفقد أهم خصائص الشخصية وهو وحدتها فوجود السمات لالا يعني تفكك الشخصية أو أنها مجموعة متراصة من السمات المستقلة بجوار بعضها البعض، بل أن الشخصية وحدة متكاملة لا تتجزأ، أي أنها بناء متكامل من السمات، بينها تفاعل ديناميكي متبادل. أي يؤثر بعضها في بعض باستمرار. فشدة الانفعال تعطل التفكير وتشوه الإدراك والتهور أو التعصب يفسد الحكم على الأمور، وهكذا.
- إن نظرية السمات، لا تصف لنا ما تتسم به الشخصية من حيث هي وحدة وصيغة متكاملة، من صفات فريدة لا توجد في أية واحدة من السمات المنفردة. مثال ذلك: مرونة الشخصية أو جمودها، وهي صفات تصف الأداء الوظيفي الكلي للشخصية.
- أن تحليل الشخصية قد لا يساعدنا على فهم تنظيم السمات في الإطار الكلي للشخصية. فقد يكون لدي شخصيتين نفس المجموعة من السمات ومع ذلك يختلف تنظيم السمات في كليهما. مثال ذلك : قد يتسم شخصان بالتملك والسيطرة، إلا أنه في الأول قد يكون حب التملك وسيلة للسيطرة على الناس، بينما في الثاني قد تكون السيطرة وسيلة لاستحواذ أو التملك.

الدراسة العلمية للسمات وقياسها غاية في الصعوبة لأسباب عديدة منها:

- أنها غالباً ما تكون غامضة أو مبهمة العني. فالأشخاص المختلفون غالباً يبدون ضروباً مختلفة من السلوك في السمة الواحدة. فهناك سمات موضوعية من السهل قياسها، ولا يختلف في ذلك اثنان مثل طول الشخص أو وزنة. وكذلك القدرة الميكانيكية والتحصيل الحسابي، وما شباه ذلك، يمكن أن تتضمن أنماطاً سلوكية معينة يمكن التعرف عليها بسهولة كبيرة ويتفق عليها الملاحظون (وبالرغم من ذلك، فان عدم اتساق أحكام المختبرين وثباتها يشير إلى موضوعتهم محددة) ولكن هناك سمات أكثر تعقيداً مثل القيادة والأمانة والمثابرة والانطواء والعدوان والجبن، إلخ. فالسلوك الذي يفسره شخص ما بأنه سلوك عدواني، قد يسميه آخر مخاطرة، ويطلق عليه ثالث استعراض أو حب الظهور.
- **الذاتية في التفسير:** يعتمد تفسير السمات، جزئياً على المشاهد حيث تؤثر شخصيته ووجهة نظره الخاصة فيما يلاحظه في سلوك الناس، كما تؤثر في تفسيراته وتأويلاته لهذه السمات المسئولة عن هذا السلوك. أي أن اختلاف الأحكام تتوقف على اختلاف الإدراك بين الأفراد لنفس المثير أو الموقف. مثال ذلك: يرى بعض الأهل من ذوى التقاليد القديمة في أفعال الطفل ما لا يعجبهم، فيرونها أفعالاً رذيلة تعبر عن التمرد. بينما لا يري ذك والدان تقدميان في نفس السلوك، فهما إما لا يلاحظان شيئاً، أو يعتبران الأفعال علامة على تلقائية الطفل. إننا نلاحظ هذا الميل في حياتنا اليومية، ومثال ذلك : نحن لا نقبل حكم شخص(أ) علي شخص (ب) من حيث قيمة الظاهرة، وإذا كنا نعتبر (أ) شخصاً متحيزاً او متعصباً، وذلك لذاتية الأحكام التى يصدرها.

وكذلك كلما زاد نفاذها خلف خصائص السلوك الظاهري السطحي إلى الدوافع الكامنة وراءه، كما تدخلت تفسيرات أكثر ذاتية. الروائي والمؤلف المسرحي والمؤرخ الذين يتفقون في تفسير. في تصوير

الشخصية ، لا يعطون سجلاً واقعياً لأفعال الرجال فحسب خلال فترة ما، وإنما يختارون أكثر الأحداث أهمية ويستنتجون أو يحدون مشاعر الرجل (وهي داخلية ذاتية) ورغباته ومخاوفة وآرائه، وكذلك يجملون الحقائق في كل متكامل ذات معنى. يشبه ذلك إلى حد كبير المحلل النفسي أو السيكولوجي الإكلينيكي حينما يقوم بدراسة حالة.

وقد لاحظنا أن أي سلوك بسيط يعتمد على عوامل متعددة في بناء الشخصية، وفى البيئة بحيث لا يستجيب الشخص طول الوقت بناء على السمة الشخصية أو تقييم الناس. فمن الواضح أن بعض الأفراد يسلكون بأسلوب ملموس أكثر من غيرهم وأكثر تكراراً بحيث يتفق معظمنا في وصفهم بالجبن، ووصف آخرين بأنهم أكثر شجاعة أو جرأة. وطبعاً لا نستطيع قياس الجبن في وحدات فيزيقية مطلقة كما نقيس الارتفاع في درجة الحرارة ... إلخ، ولكن ما دمنا نستطيع ترتيب الناس على هيئة رت تصاعدية منتظمة بالنسبة للسمة، أو تتفق بأن البعض مرتفع في هذه السمة والبعض منخفض، فإن متطلبات الياس الجوهرية تكون قد توفرت.